الاستنساخ

جريمة العصر

د. محمد نبيل النشواتي

دار القلم
دمشق

الاستنساخ

جريمة العصر

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

تُطلب جميع كتبنا من :
دار القلم - دمشق : ص.ب : ٤٥٢٣ - ت : ٢٢٢٩١٧٧
الدار الشامية - بيروت - ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦
ص.ب : ٦٥٠١ / ١١٣

توزع جميع كتبنا في السعودية عن طريق
دار البشير - جدة : ٢١٤٦١ - ص.ب : ٢٨٩٥
ت : ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١

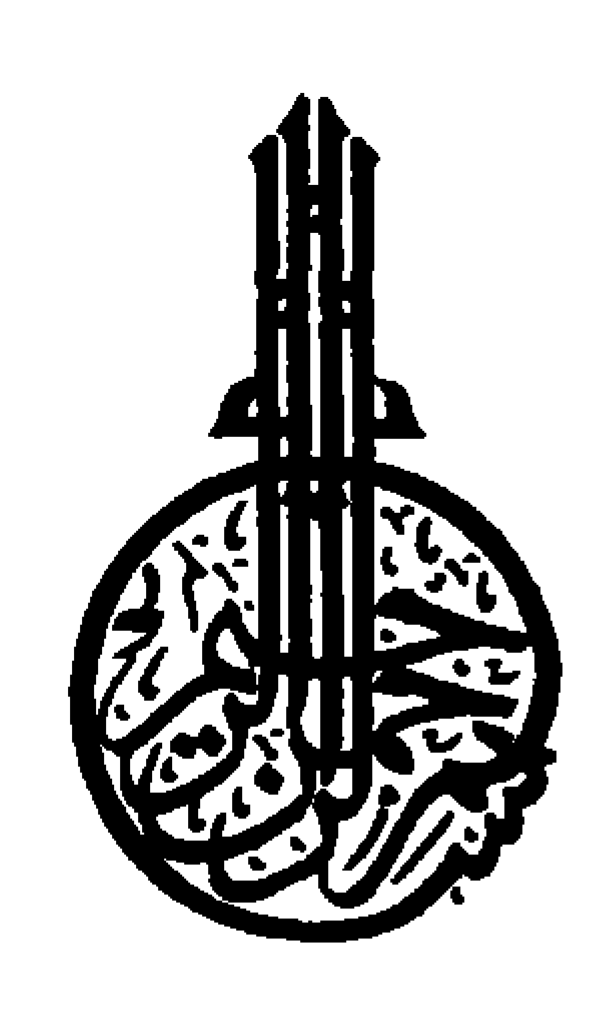
الاستنساخ

جريمة العصر

د. محمد نبيل النشواتي



دمشق



﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣].

﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

المقـــدّمَة

لقد تطوَّرت العلوم بشكل سريع ومذهل في العقود الأخيرة؛ ففي مجال الاتّصالات أبدع الإنسان الكمبيوتر والإنترنيت وعالَم الشبكات. وفي مجال الفضاء تمكَّن من الانفلات من جوِّ الأرض سابحاً في أجواء الفضاء حتى حطَّ على سطح القمر والمريخ، ولا زال يخطِّط لما هو أبعد من ذلك بكثير. كما صنع الطائرات والصواريخ والبوارج العملاقة، وناطحات السحاب، والقنابل الذرية والهيدروجينية، وغير ذلك كثير.

لقد كان نصيب الطب وعلومه من هذا التطوّر كبيراً وكبيراً جداً، حتى أضحى بالإمكان السيطرة على عدد كبير من الأمراض المستعصية والأورام الخبيثة التي كانت وحتى عهد قريب قاتلة، ولا علاج ينفع معها. ثم ظهر إلى عالم الوجود التصوير الطبقي المحوري، والمرنان المغناطيسي، وتفتيت الحصيات من دون جراحة... وغير ذلك الكثير الكثير.

وجنباً إلى جنب مع هذا الازدهار العلمي تطوَّرت التقنية البيولوجية (Biological Technology) التي كشفت للعلماء بعضاً من أسرار الخلق والإخصاب، وساعدتهم على معرفة تركيب وبنيان وخواصِّ الكروموسومات والجينات والمورِّثات، وآلية انتقالها عبر الأجيال. لقد عرفوا خواصَّ حوالي (٩٧٪) من الجينات ووظائفها، ولكنّهم لم ـ ولن ـ يتمكَّنوا من تصنيعها ولا تصنيع حمض نووي حيٍّ واحد من بين المليارات التي تتكوَّن منها الصبغيات.

لقد استمرّت العلوم الحيوية في تطوّرها السريع حتى تبلورت منها الهندسة الوراثية التي ما لبثت أن تمخّضتْ عن الجراحة الوراثية التي تتعامل مع الجينات والمورِّثات ومكوّناتها، وتستأصل المشوَّه منها وتستبدله بآخر سليم، فخلَّصت الكثير من العائلات من أمراض وراثية وخيمة كانت تقضّ مضاجعها؛ كالسرطانات، والضغط، والسكري، وتضيُّق شرايين القلب، والكثير غيرها.

من خلال هذا الازدهار والتطوّر العلميين انكشفت للأعين البصيرة عظمة الخَلْق والخالق، والإبداع والإعجاز المذهلين في كلّ ما خلق وفلق وبرأ سبحانه لا شريك له.

لقد مكَّنتنا هذه العلوم من مشاهدة ولمس المزيد من بصمات الله الخالدة، وجعلتنا نرى أدلَّة علمية وعقلية وماديّة جديدة تسطع بنور الله وتؤكد وجوده، وتثبت أنه وحده الخالق البارئ المصوّر لكل ما في الكون من مخلوقات. كما تمكَّن العلماء من خلال تغيير الجينات من تحسين الكثير من المنتجات الحيوانية والنباتية كمّاً ونوعاً؛ ليسدَّ بعضاً من العجز الغذائي الذي يعاني منه كثير من دول العالم، والعالم الثالث بشكل خاص.

كما تمكَّن العلماء من زراعة جينات بشرية في بويضات البقرة والغنم والخنازير، فحصلوا على حليب بقري أشبه ما يكون بحليب الأم، كما حصلوا على هرمونات كثيرة كهرمون النمو والإنسولين وغيرهما كثير، فخفَّفوا بذلك من معاناة الناس وآلامهم وأمراضهم.

لقد لاحظ العلماء من خلال تجاربهم في هذا الحقل أنَّ نواة البويضة تبدأ بالانقسام بمجرَّد أن تندمج كروموسوماتها الثلاثة والعشرون مع الـ(٢٣) كروموسوماً الموجودة في الحيوان المنوي، أي أنها تبدأ

بالانقسام وبتكوين الجنين لمجرّد أن يصبح عدد الكروموسومات في داخلها (٤٦).

وبما أنَّ كافة خلايا الجسم تحتوي في نواتها على (٤٦) كروموسوماً قدَّرها الخالق العظيم في كلٍّ منها، لذا استغلَّ بعض العابثين هذه الظاهرة وراحوا يستبدلون نواة البويضة الملقّحة بأخرى مأخوذة من خلية من خلايا الجسم، كما في تجربة (دوللي) التي أخذوها من ضرع نعجة.

لقد قاموا بتجاربهم على بويضة النعاج لأنها الأبسط بين مثيلاتها لدى باقي الحيوانات؛ ولأنّ نزع نواتها وزرع أخرى مكانها أيسر وأسهل بكثير من إجراء ذلك على بيوض مغايرة، كما وجدوا أنَّ نتيجة التجربة لدى النعاج أفضل بكثير مما حصلوا عليه في تجاربهم على القردة والخنازير وغيرها من الحيوانات، وبحمد الله وفضله وجدوا أنَّ التجربة أصعب ما تكون لدى الإنسان ونتائجها غير مُرضية على الدوام.

عندما زرع العلماء نواة خلية مأخوذة من ضرع نعجة في بويضة نعجة أخرى، كانوا يتوقّعون الحصول على ثدي، ولكن المفاجأة كانت كبيرة عندما أجهضتْ نعاجُ التجارب أجنَّةَ نعاجٍ كاملة، ولكنها كانت مشوَّهة وميّتة.

لقد أذهلتهم المفاجأة وحبَّذتهم على تكرار المحاولة مرات ومرات حتى نجحت تجربة دوللي بعد حوالي (٣٠٠) محاولة.

لقد افتعل العالمان: (إيان ويلموت) و(كيث كامبل) اللذان قاما بهذه التجربة، افتعلا ضجَّةً إعلاميةً كبيرة ليلفتا الأنظار إليهما وإلى تحدّي الخالق العظيم، وأطلقا على النعجة اسم أعظم وأجمل ممثلة أمريكية آنذاك (دوللي).

لم يتوقّف عبث العلماء عند هذا الحدّ، بل سوَّلت لهم أنفسهم المريضة أن يستنسخوا إنساناً! ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، لأنهم كانـوا يريدون مـن وراء ذلك تحدِّي عَظَمـة الله وجبروته وكبريائه، وهذا ما فهمته عامة الناس وجعلتهم يفكّرون في قصة الخلق التي آمنوا بها، ويعيدوا النظـر بها بعد أن ساورتهم الهواجس والشـكوك ووسـاوس الشيطان.

لهؤلاء رأيت أن أخطَّ هذا الكتيِّب، وكلّي أمل أن تعود الأمور إلى نصابها، والميـاه العذبـة الرقراقة إلى مجاريها، والنفوس الحائـرة إلى محرابها.

وكرأي شخصيّ فإنّي لا أرى في الاستنساخ تحدّياً لعظمة الخالق سبحانه وتعالى، بل هو دليل علمي جديد على وجود الله سبحانه، وأنه وحـده الخالق البارئ المصوّر؛ لأن المـواد التـي تعامل ويتعامل معها العلماء في عملية الاستنساخ هي من صنع الله وليست من نتاج مخابرهم، وليس فيها إبداع بشري على الإطلاق! إنهم لم يتمكّنوا ـ رغم محاولاتهم الحثيثة خلال عشرات السنين ـ من صناعة حمض نوويّ حيّ واحد بحيث ينمو وينقسم وينتج نفسه بنفسه، أو ينتج غيره من الأحماض والقواعد النتروجينية والبروتينات لتمكّنه من تكوين مخلوق جديد ولو كان حقيراً كالذبابة، أو حتى جناحاً من جناحيها!!.

فإن هم فشلوا في إبداع وتخليق حمض نووي واحد، فأنَّى لهم أن يدعوا كروموسوماً؟ علماً بأنَّ الكروموسوم الواحد يتكوَّن من مليارات الأحماض النووية البالغة الدقّة والتعقيد في بنيانها الهندسي، وفي تركيبها الكيميائي، وكذلك صفاتها وخواصها، والشيفرة الإلـٰهية التي تحملها، والتي تسيطر من خلالها على كافة أعضاء الجسم، ووظائفها المذهلة التي

تسيطر من خلالها على العضوية بأكملها، وتحافظ عليها عبر آلاف السنين، وتحولُ دون حدوث أي شذوذ أو طفرات مدمِّرة ولا أي تغيرات طارئة، سواء باتّجاه الأفضل أو الأسوأ. وسترى عزيزي القارئ في فصلٍ لاحق مدى عظمة وتعقيد بنيان الكروموسومات وتركيبها! أنَّى لهم أن يصنِّعوا شيئاً لا يمكنهم لا رؤيته ولا مسكه؟! هذا بالنسبة لكروموسوم واحد فما بالك بـ(٤٦) كروموسوماً في كلِّ خلية منها آية في الإعجاز، وهو مختلف عن باقي الكروموسومات، علماً بأنَّ كلّ كروموسوم أكثر تعقيداً من عشرات الكمبيوترات! فهل يمكنهم خلق إنسان جديد ومخالف لبني آدم؟ لا وألف لا، إنهم لن يتمكّنوا من خلق شيء ولا حتى ذبابة، علماً بأنَّ خلايا الذبابة تحتوي على ثلاثة أزواج فقط من الكروموسومات، التي تعتبر الأبسط في تركيبها بالمقارنة بكروموسومات باقي مخلوقات الله، ولذلك تحدَّاهم الله سبحانه وتعالى بخلق ذبابة. فسبحان مالك الملك، مبدع السموات والأرض وما فيهن.

من خلال هذا الكتيِّب الصغير سيتأكَّد لك عزيزي القارئ أنَّ العلماء الذين قاموا بالاستنساخ لم يخلقوا شيئاً، بل اكتشفوا سرّاً إلـٰهياً جديداً كشف سبحانه وتعالى حجاب الغيب عنه تماماً كما كشف لهم في الماضي حجاب الغيب عن جاذبية الأرض، والكهرباء، وقوانين الطبيعة، وخواصِّ الضوء، وسرعة المجرّات، والشمس والأرض والقمر وغيرها.

ومن حكمته سبحانه وتعالى في كشف بعض أسرار خلقه من حينٍ لآخر أن يرينَا مدى عَظَمته وعلمه وطلاقة قدرته.

لقد سبق أن خلق الله سبحانه وتعالى آدم من تراب، خلقه بيده من دون أب ولا أم، ثم نفخ فيه من روحه، وجعل فيه السمع والبصر والفؤاد وكافة أعضاء الجسم، وميَّزه عن باقي مخلوقاته بالدماغ. ثم خلق له حواء ليسكن إليها من دون أب ولا أم أيضاً، وخلق عيسى عليه السلام من أم

دون أب: ﴿ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴾ [مريم: ١٦ـ٢١].

نعم لقد أراد الله سبحانه وتعالى من خلق عيسى عليه السلام بدون أب أن يبيِّن لنا طلاقة قدرته ﴿ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ﴾، وليثبت للناس وجوده سبحانه وأنه الخالق البارئ المصوِّر ﴿ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ﴾. نعم لقد كان هذا الخلق وكلّ الخلق آيةً ودليلاً ساطعاً لأولي الألباب.

كما خلق سبحانه وتعالى يحيى عليه السلام من سيدنا زكريا الذي بلغ من الكِبَر عتياً ومن أمٍّ عجوز وعاقر: ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ [مريم: ٧ـ٩].

وبالأسلوب نفسه رزق سبحانه وتعالى الناس ذكوراً وإناثاً وجعل بعضهم عقيماً، ورزق آخرين بالتوائم، وهي ضربٌ من الاستنساخ. فالاستنساخ موجود منذ الأزل ولكنَّ حكمته سبحانه وتعالى شاءت أن تجعل الكروموسومات المسؤولة عن الاستنساخ والمسيطرة عليه مقهورة (مثبَّطة) لكي يتم التكاثر والحفاظ على الجنس البشري من خلال التزاوج: ﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ [النحل: ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا ﴾ [الروم: ٢١].

والاتّصال الجنسي أمره بسيط ويمكن لكلّ مخلوق أن يمارسه

بالفطرة من دون سابق معرفة ولا تعليم، ولو كان التكاثر بالاستنساخ وحسب لانقرض الجنس البشري منذ آدم وحواء عليهما السلام، لأنهما ومَن جاء بعدهما كانوا بسطاء وبدائيين ولا يدرون شيئاً عن علوم العصر ولا عن الهندسة الوراثية ولا عن الكروموسومات ولا الجينات ولا عن الاستنساخ. فسبحان الله الحكيم العليم.

لقد شطح بعض العاملين في مجال الاستنساخ وراحوا يحلمون كما يحلم ويفكّر مؤلّفو ومخرجو أفلام الخيال العلمي (Science Fiction)، ومنهم من ظنَّ أنَّه قادر على الخلق والإبداع! من هؤلاء من قال: بأنه قادر على خلق الله، وهم يقصدون بذلك سيدنا عيسى عليه السلام لأنهم ضلُّوا كما وصفهم القرآن وألَّهوا المسيح. لقد وعدوا باستنساخ أعداد هائلة من شخصية المسيح بحيث يصبح لكلّ مسيحي إلـٰهه الخاص به، وبذلك لن يحتاج في عصر النهضة العلمية إلى وسيط روحي أو إلى أي رجل دين ليقرِّبه إلى الله زلفى فيغفر خطاياه، وستكون اعترافاته مباشرة لإلـٰهه الخاص به الذي دفع ثمناً للحصول عليه. هذه الحال مشابهة تماماً لحال العرب في الجاهلية، فقد كانوا يحتفظون بأصنامهم [آلهتهم] في بيوتهم، يناجونها ويتزلَّفون إليها متى شاؤوا، وإذا كان صنم أحدهم من تمر وجاع، أكله من دون أن يخشى بأسه.

انظر يا أخي كيف تمادى بعض العاملين في هذا المجال، وهم على يقين تام بأنَّ الله حيٌّ لا يموت، وأنه لا تدركه الأبصار ولا تطاله الأيدي ولا تقنية العصر: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الزمر: ٣٨]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، ولكن ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٧].

لقد ألَّهوا عيسى وعبدوه من دون الله، ونسبوا إليه كلَّ صفات وقدرات الله، يريدون بذلك ليطفئوا نور الله بأفواههم وأفعالهم، ولكنّ الله يأبى إلاّ أن يتمَّ نوره ولو كره الكافرون؛ قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة: ٣٢]، لقد دعاهم ليتفكَّروا في أنفسهم وفي خلق السموات والأرض؛ ليتأكّدوا من وجوده ومن عظمته وعلمه الواسع وحكمته البالغة، فيعودوا إلى جادة الصواب وإلى محراب الإيمان فقال لهم: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال جلَّ جلاله: ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٠ـ٢١].

لقد أحدث استنساخ (دوللي) ضجّةً كبيرةً واستياءً عاماً لدى كافة شعوب الأرض وتشوّشاً في عقيدة ضعاف القلوب من مسلمين ومسيحيين ويهود. لقد ازداد الأمر سوءاً عندما أعلن العلماء عن نيّتهم استنساخ بني البشر، فعارضتهم كافة الطوائف الإسلامية والمسيحية، وأنكر علماء المسلمين والأزهر الشريف هذا العبث اللاأخلاقي بخلق الله، كما اعتبره بابا الفاتيكان مُجوناً وتشويهاً لخلق الله، وخرقاً لسنّته وإرادته في الخلق، وتحدّياً لعظمته وكبريائه سبحانه. ولكن سرعان ما همدت ثورة الغضب العامة واستقرّت النفوس المؤمنة عندما فشل العلماء في استنساخ إنسان، وتلا الفشلَ فشلٌ آخر وآخر وآخر.

ولكن احتمال نجاح الاستنساخ البشري وارد وممكن، ولكنّه يتطلّب الكثير من العمل والدراسات والتجارب والأموال، فالمسألة مسألة وقت، ولكنّ نجاحه لا يعني بحالٍ من الأحوال أنّهم أبدعوا إنساناً أبداً، وليس في هذا أيّ تحدٍّ لعظَمة الله وقدراته، لأنهم كما سبق وأشرت سيستخدمون بويضة الإنسان التي هي من صنع الله وإبداعه سبحانه،

وسيبدِّلون نواتها بنواة خلية أخرى مأخوذة من جسم الإنسان، هي الأخرى من صنع الله وإبداعه، فهم - عزيزي القارئ - لم - ولن - يأتوا بجديد في الخلق والإبداع، بل جاؤوا بأسلوب جديد في آلية الإخصاب والحمل، وهي خطوة علمية تلت أطفال الأنابيب، ليس إلاّ.

وبما أنَّ هذا العلم جديد ومشوّق، لذا لا بد لكلّ مثقَّف أن يلمَّ به أو ببعض المعلومات عنه، كما لا بد لكلّ من انتابته الشكوك والهواجس أن يعود لمثل هذا الكتيِّب ليجد فيه جواباً على كلّ تساؤلاته، فيستقر قلبه ويطمئن.

ولكي نتمكّن من فهم آلية الاستنساخ لابدّ لنا باديء ذي بدء من التعرُّف على آلية الإخصاب والحمل وتطوّر الجنين وانتقال الصفات الوراثية من الآباء إلى الأبناء عبر آلاف السنين ابتداءً من سيدنا آدم عليه السلام وحتى جيلنا الحالي. لذلك ابتدأت الكتيِّب بلمحة سريعة عن تخلُّق الجنين، ثم عَرَّجْتُ على الهندسة الوراثية وخصائصها، وبيَّنتُ الثغرات التي استغلَّها وانسلَّ من خلالها بعض الحالمين والعابثين من العاملين في هذا الحقل.

وأخيراً تحدَّثتُ عن الاستنساخ وبيَّنتُ الويلات التي سيجلبها للبشرية جمعاء لو تمَّ لهؤلاء المارقين ما يَصْبون إليه، ثم ختمتُ الكتيِّب بتبيان الإعجاز الإلـٰهي في الخلق، وفنَّدتُ أقوال المفترين على الله من ماركسيين وداروينيين وماديين وملحدين.

والله أسأل أن أكون قد وُفِّقْتُ في هذا العمل، الذي أرجو أن يجعله الله سبحانه وتعالى في ميزان أعمالي يوم الحساب.

المؤلف

د. محمد نبيل النشواتي

تخلُّق الجنين

قال الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه الجليل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ﴾ [الحج: ٥]، وقال عزَّ من قائل: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ (١٢) ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ (١٣) ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤].

لقد أثبت العلم الحديث بعد تحليل رميم الإنسان المتوفَّى أنّه مشابه تماماً في شكله وتركيبه الكيميائي لتراب الأرض. هذه حقيقة علمية كانت من عالم الغيب منذ نزول وحي السماء على سيد الأنام محمد عليه أفضل الصلاة والسلام وحتى القرن العشرين، حيث أثبت العلماء صحة هذه الآية القرآنية المذهلة! كما تأكّد للعلماء أنّ في نطاق الذكر حيوانات منوية [نُطَف] كثيرة وأنَّ واحدة منها فقط ستقوم بتخصيب البويضة، وينفق الجيش الجرار من النطف الذي يقذفه الرجل في كلّ لقاء جنسي والذي يفوق تعداده الـ(٥٠٠) مليون نطفة!.

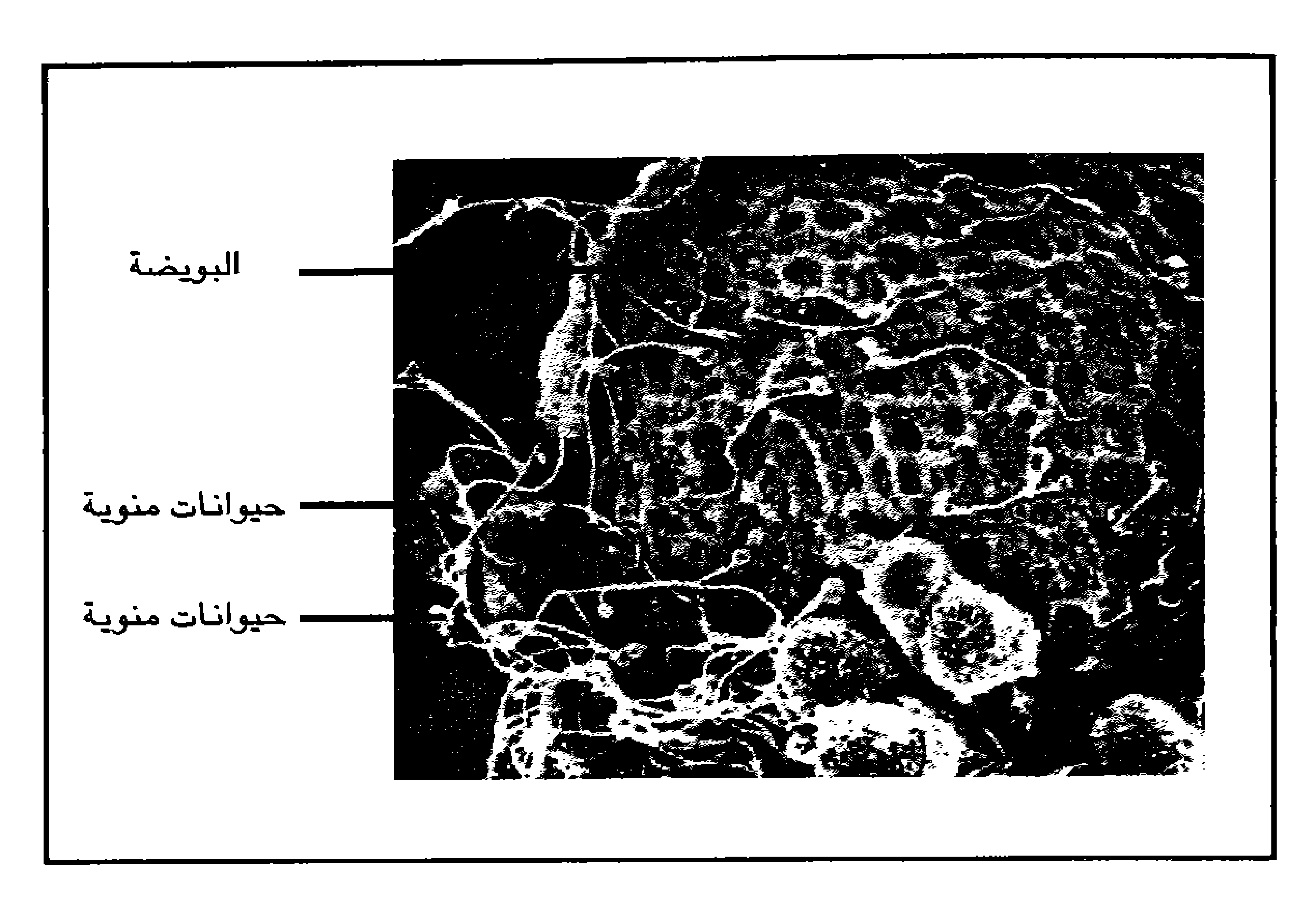
والعلقة آية ودليل قرآني آخر لم يكن يدري عنها أحد شيئاً، ولم يرصدها الإنسان إلاّ بواسطة المجهر في القرن العشرين، لأنَّ قطرها لا يزيد عن (٥, ٠)مم! وكذلك المضغة التي لا يزيد طولها عن (٥, ٢) مم، فقد وصفها الحكيم العليم بأنّها كالشيء الممضوغ وأنها متكوّنة من خلايا وأجزاء متخلّقة وأخرى لا زالت لم تتخلّق بعد في هذه المرحلة المبكّرة

من عمر الجنين. ولأول مرة في القرن العشرين وتحت المجهر فقط تبيَّن للعلماء أنّ التضاريس التي تجعلها تبدو كالشيء الممضوغ ناجمة عن براعم الأعضاء والأطراف التي تشكَّلت فيها (تخلَّقت). كما تبيَّن لهم أنَّ عدداً كبيراً من الخلايا لا زالت مشابهة في شكلها وخواصّها للبويضة الأرومة (البويضة المخصّبة)، ومشابهة أيضاً لخلايا العلقة التي تفتقر إلى التمايز ﴿ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥].

فكما بيَّن لنا سبحانه وتعالى حقائق علمية مذهلة قبل أكثر من (١٤٠٠) سنة من اكتشافها من قِبَل علماء القرن العشرين فأضحت من عالم الشهادة بعد أن كانت من عالم الغيب، فإنّ البعث بعد الموت سيصبح في يوم من الأيام حقيقة ماثلة أمام أعيننا ﴿إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ﴾ [الحج: ٥]، فسبحانك يا إلٰهي من خالقٍ عظيم، وسبحان أسلوبك الجميل، وسبحان علمك الواسع وحلمك الكبير ورحمتك التي وسعت كلّ شيء، كما وسعت غضبك وعذابك.

بعد أن بدأ سبحانه وتعالى خلق الإنسان من سلالة من طين، جعل له السمع والبصر والفؤاد وكافة الأعضاء، وجعل لكلّ عضو وظيفته الخاصة به يقوم بها لا يحيد عنها. لقد قدَّر سبحانه وتعالى فيما قدَّر في آدم عليه السلام جهازه التناسلي الذي ينتج الحيوانات المنوية (النطف)، كما قدَّر لدى حواء بويضات ينتجها مِبْيضان، ورحماً يكتنف البويضة الملقَّحة (النطفة الأمشاج) فيقدم لها الماء والغذاء لتنمو وتتخلَّق حتى تصبح بشراً سوياً.

لقد شاءت حكمته أن يخلق من كلِّ شيء زوجين اثنين، وجعل بين الرجل وزوجته مودة ورحمة ليسكن إليها وليغرس فيها نطفه لتلتقي بنطفها لتتمّ إرادته سبحانه وتعالى (صورة رقم ١).

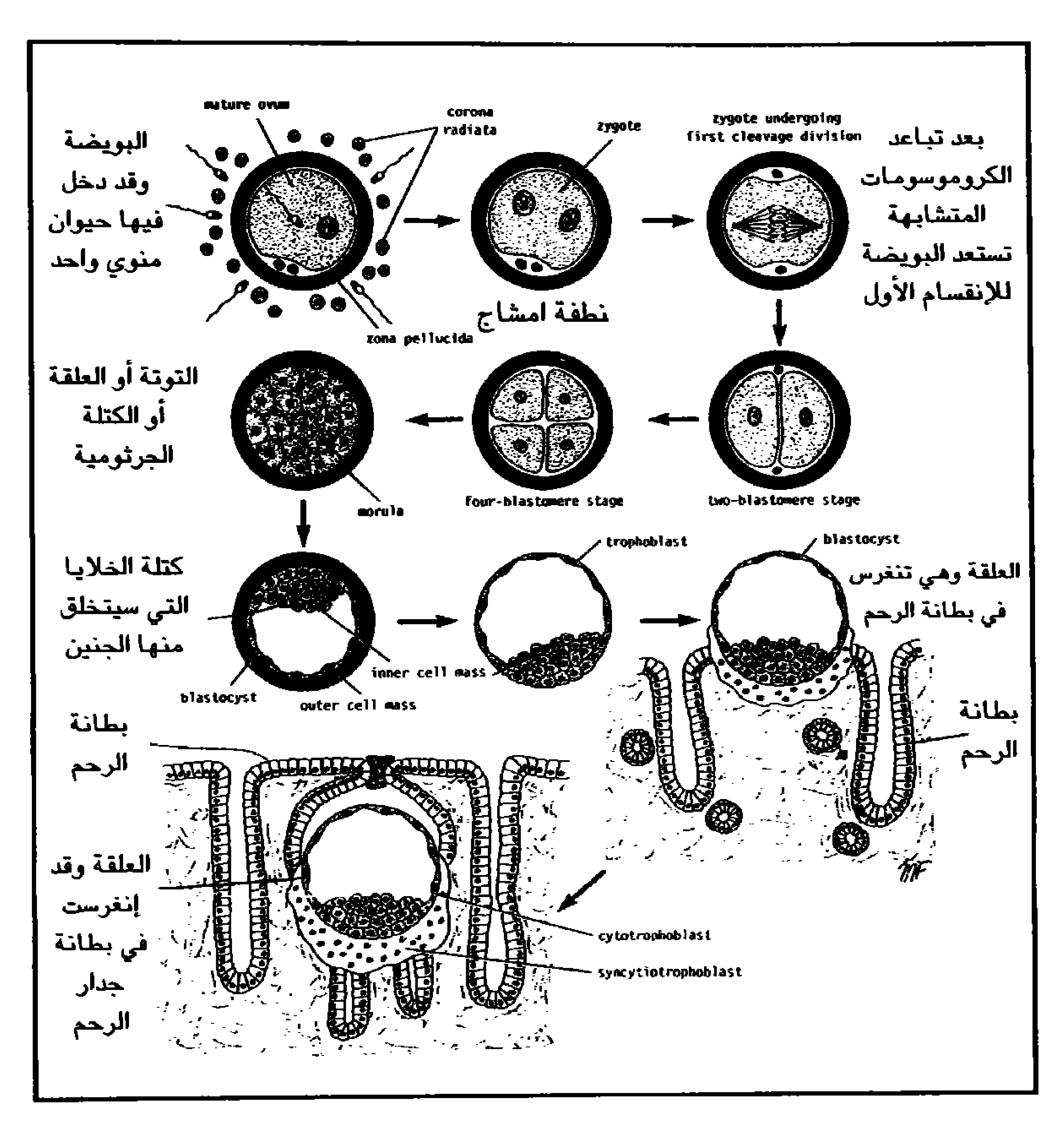


صورة رقم (١)

حيوانات منوية بأعداد هائلة تحيط بالبويضة

محاوِلةً اختراق جدارها لإحداث الإخصاب

بعد (٥ ـ ١٠) ساعات من الإخصاب واندماج كروموسومات الحيوان المنوي بكروموسومات البويضة التي قدَّرها الخالق الحكيم بـ(٢٣) كروموسوماً في كلٍّ منهما، وبعد أن يصبح عدد الكروموسومات (٤٦) داخل البويضة، تبدأ البويضة بالانقسام بقدرة الله (دون أدنى محرِّض خارجي) فتصبح الخلية اثنتين. يستمرّ الانقسام دون توقّف لتصبح الخليتان أربعاً ثم ثمانيَ فست عشرة فاثنتين وثلاثين وهكذا... حتى تصبح البويضة كالتوتة، التي تُعرف علمياً بالكتلة الجرثومية (والجرثوم هو أصل الشيء) أو الموريولا (Morula) والتي سمّاها مُبدعُها بالعلقة بسبب قدرتها العجيبة على الالتصاق والتعلّق في بطانة الرحم (صورة رقم ٢).



صورة رقم (٢)

المرحلة المبكرة جداً من تكوُّن الجنين وفيها نرى الانقسامات التي تطرأ على البويضة بعد تلقيحها، ثم انغراسها في بطانة جدار الرحم الغنية بالأوعية الدموية

كلُّ خلية من خلايا العلقة نسخة طبق الأصل عن أخواتها، وهي برُمَّتها نسخ مطابقة لأمهم الأصلية ـ البويضة المخصَّبة (الخلية الأرومة) ـ والأرومة تعني الأصل أو أصل الشيء ـ هذه الحقيقة بحدّ ذاتها تجسيد للاستنساخ الإلـهي الذي أودعه سبحانه وتعالى في أجسامنا مذ خلق آدم

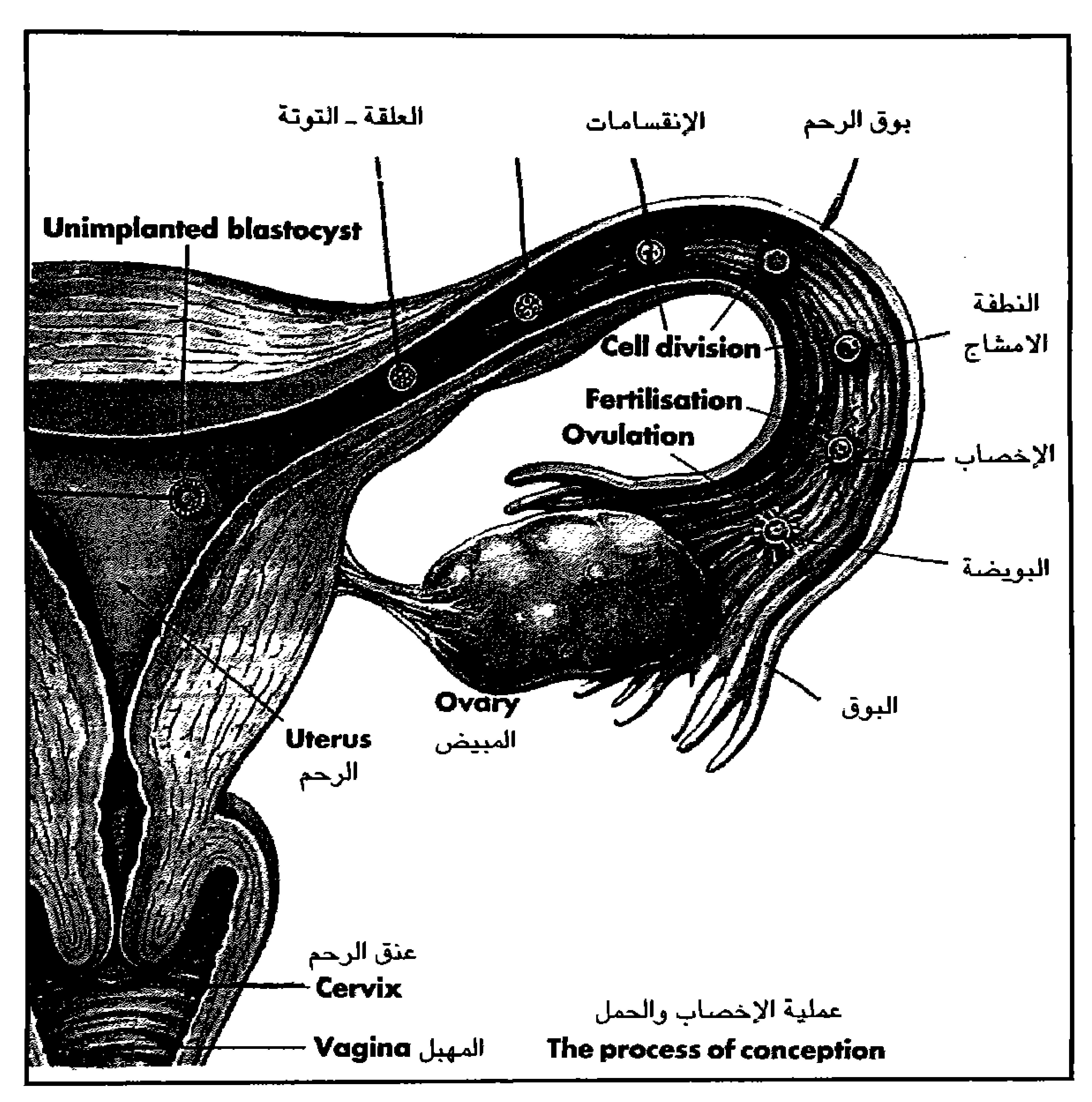
عليه السلام، لأنَّ كل خلية من هذه الخلايا ستنجب أو يتمخَّضُ عنها جنين أو طفل مشابه تماماً لباقي الأطفال التي ستنتج عن باقي الخلايا لو تم فصلها عن بعضها وزرعها في أرحام النساء.

نعم سيكون كافة الأطفال نسخاً طبق الأصل عن بعضهم، فيبدون وكأنَّهم مستنسَخون من مصدر واحد رغم ولادة كلٍّ من الأجنَّة من رَحِمٍ مغاير. ولو درسنا جيناتهم وكروموسوماتهم لوجدناها بنفس العدد والشكل والخواص.

يستغلّ علماء الوراثة هذه الظاهرة لإنتاج أعداد هائلة من البقر والغنم والخنازير من بويضة ملقَّحة واحدة (عَلَقَة). هذا ومن ناحية أخرى فإنَّ هذا النوع من الاستنساخ أسهل وبكثير من أسلوب استنساخ النعجة (دوللي) الذي تمَّ بتبديل نواة بويضة مخصَّبة بنواة أخرى مأخوذة من خلية جسدية عادية. لقد تمخَّض عن التجربة الأخيرة إنتاج حيوان واحد (دوللي)، بينما خلايا العلقة كثيرة جداً. وبالفعل فقد تمكَّن العلماء من إنتاج مئات البقرات ومثلهنَّ من الخنازير من علقة واحدة محاولةً منهم لدعم الأمن الغذائي للبشرية جمعاء التي باتت مهدَّدة بالجوع بسبب ازدياد تعدادها مليارات المرَّات، وبقيت موارد الأرض متخلفة وشحيحة نسبياً.

من خلال الجراحة الوراثية تمكَّن العلماء مؤخَّراً من تغيير جينات الحيوانات في البويضات المخصَّبة، فحسَّنوا بذلك نوع الإنتاج كما حسَّنوه كمّاً، وهذا شيء مذهل ومحمود، وجانب مضيء للهندسة الوراثية.

نتابع حديثنا عن الإخصاب والتخلُّق لنرى أنَّ اللقاء بين الحيوان المنوي والبويضة سيتم في الجزء الخارجي من قناة الرحم قريباً من البوق الملاصق للمبيض (صورة رقم ٣)



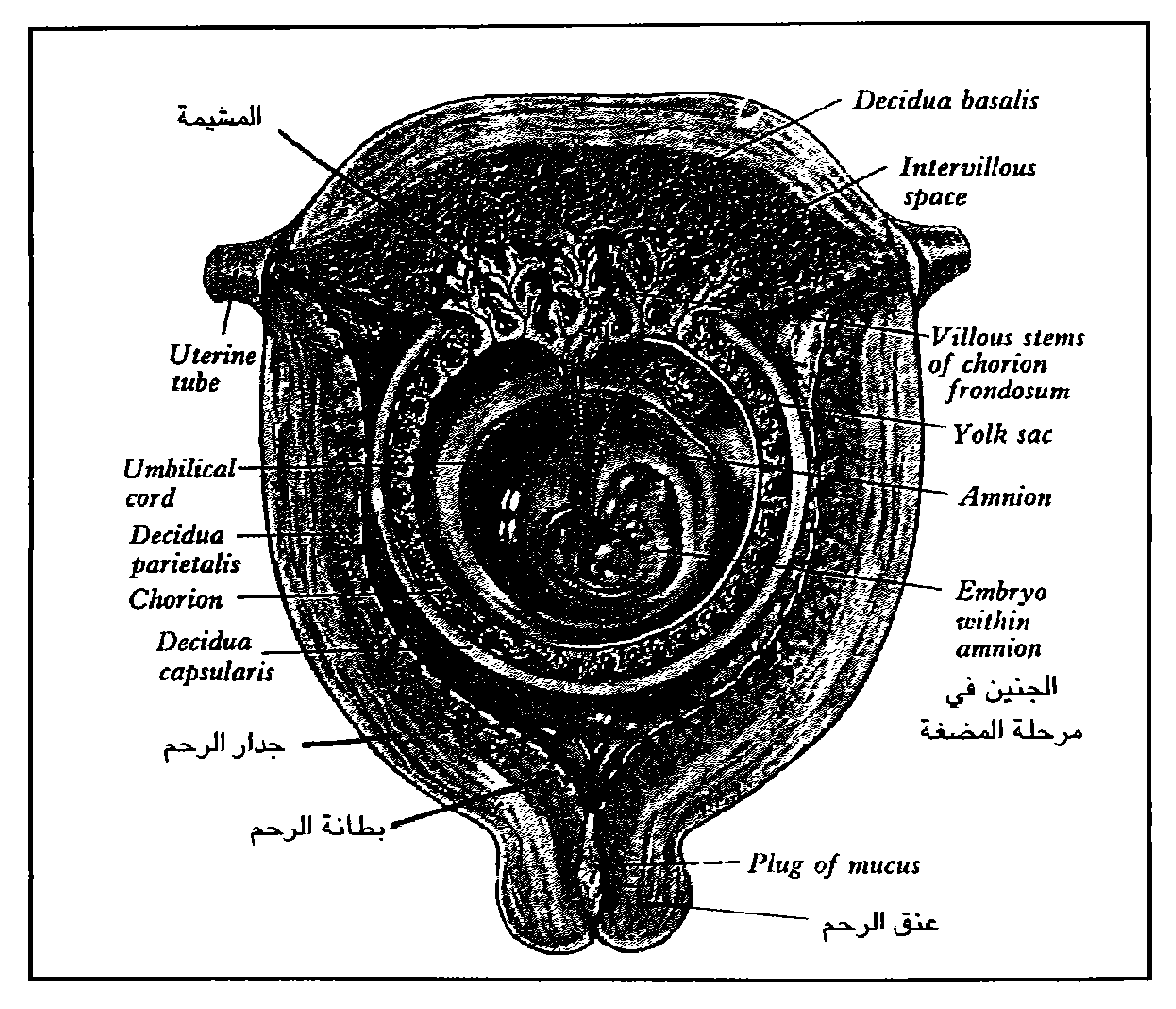
صورة رقم (٣)

البويضة مباشرة بعد الإباضة (خروجها من المبيض)، تتلقفها الزوائد المحيطة ببوق قناة الرحم فتأخذ بها إلى تجويف البوق. يتم الإخصاب وهو اللقاء الكبير بين حيوان منوي والبويضة، والذي سيتمخَّض عنه مخلوق جديد بإذن الله تعالى.

بعد الإخصاب وأثناء الانقسامات المتكرّرة تتابع البويضة رحلتها إلى تجويف الرحم بعد (٨ ـ ١٠) أيام فتصبح علقة جاهزة للانغراس في بطانة جدار الرحم.

يبلغ قطر العلقة في هذه المرحلة (٠,٥)مم، بعد ذلك تبدأ الخلايا بتشكيل المضغة، حيث تتمايز فيصبح لكلّ مجموعة منها شكل وصفات ووظائف خاصّة تميّزها عن باقي المجموعات، يبلغ طول المضغة عند بداية تشكّلها حوالي (٢,٥) مم.

وفي بداية الأسبوع الخامس من الحمل تبـدأ الهياكل الغضروفيـة للعظام والفقرات بالتشكّل والظهور بالتدريج حتى تتبلور معالمها وتتوضّح وبشكل كامل في نهاية الأسبوع السابع من الحمل (صورة رقم ٤).



صورة رقم (٤)

المضغة في الأسبوع السابع من الحمل وقد بدأت تظهر فيها التضاريس التي هي في واقع الأمر براعم الأطراف والأعضاء والرأس والقطع الجسدية

بعد أن يتمَّ التخلُّق، وفي الليلة الأربعين يأتي مَلَك فيصوِّر الجنين تماماً كما يريد الله له، ويقدِّر جنسه ورزقه ويوم مولده ويوم قبضه.

قال رسول الله ﷺ: «إذا مرَّ بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله مَلَكاً فصوَّرها وخلق سمعها وبصرها وجِلْدَها ولحمها وعظامها، ثم قال: يا رب أَذَكَرٌ أم أنثى؟ فيقضي ربُّكَ ما شاء، ويكتب المَلَك، ثم يقول: يا رب أجله؟ فيقول ربك ما شاء، ويكتب الملك، ثم يقول: يا ربّ رزقه؟ فيقضي ربّك ما شاء، ويكتب المَلَك، ثم يخرج المَلَك بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أُمر ولا يُنقص»[1].

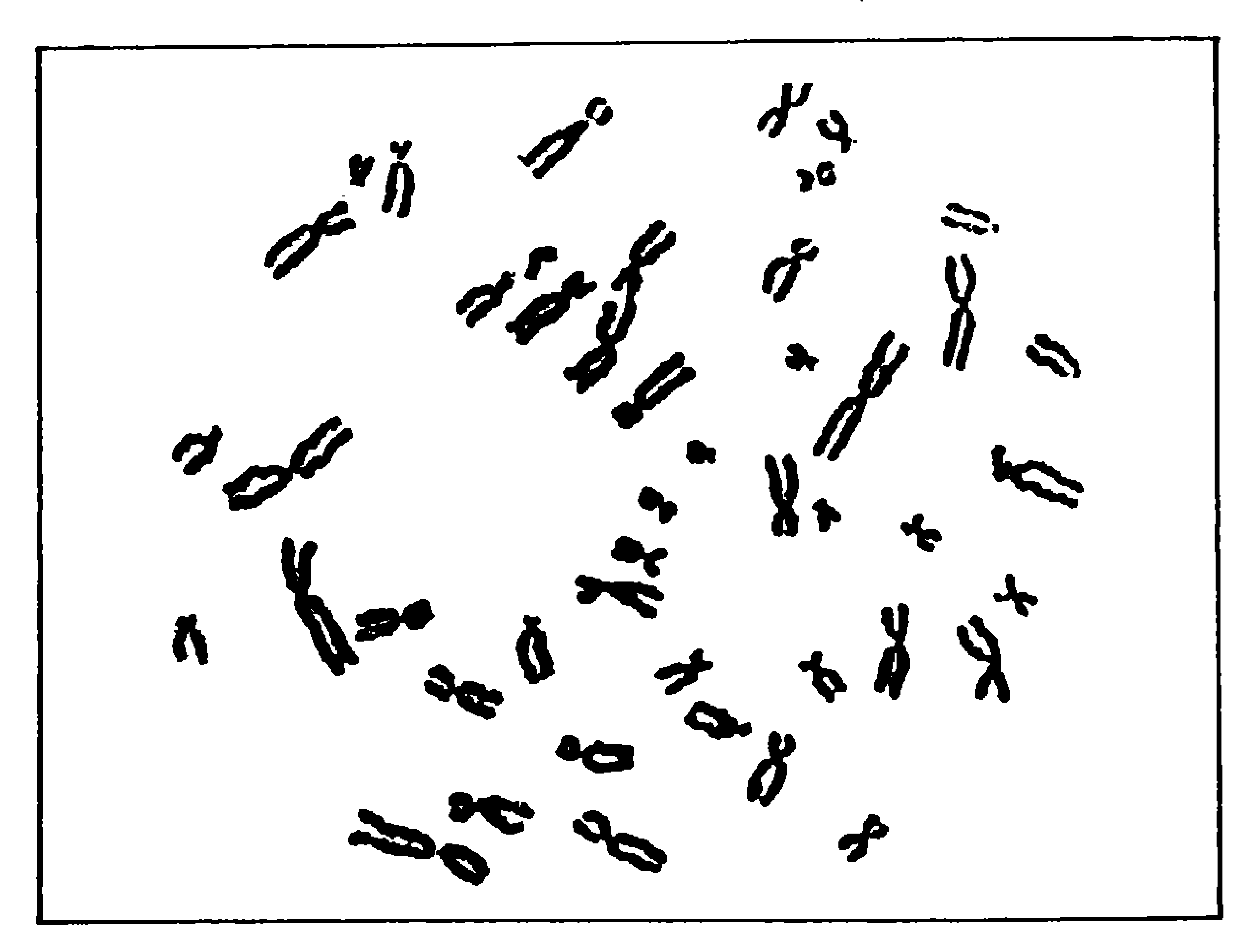
في نهاية الشهر التاسع من الحمل وبعد اكتمال تخلّق وتصوير الجنين يخرج إلى الدنيا ليبصر نور ربّه، وليعيش الحياة التي كتبها الله له.

* * *

(١) رواه مسلم في صحيحه برقم (٤٧٨٣)، في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجلِه، واللفظ له؛ كما رواه البخاري برقم (٦١٠٥) في كتاب القدر.

لمحة عن الهندسة الوراثية

يحتوي الجسم البشري على ما يزيد عن (١٠٠) تريليون خلية، في كلّ خلية (٢٣) زوجاً من الكروموسومات، كلّ اثنين منها متماثلان ومتناظران، يحمل كلّ كروموسوم (٥٠٠٠٠) جيناً، كلّ واحد منها نسخة طبق الأصل في شكله وتركيبه وخواصّه ووظائفه الحيوية للجين الذي يقابله في الكروموسوم الندّ له (شكل ٥)

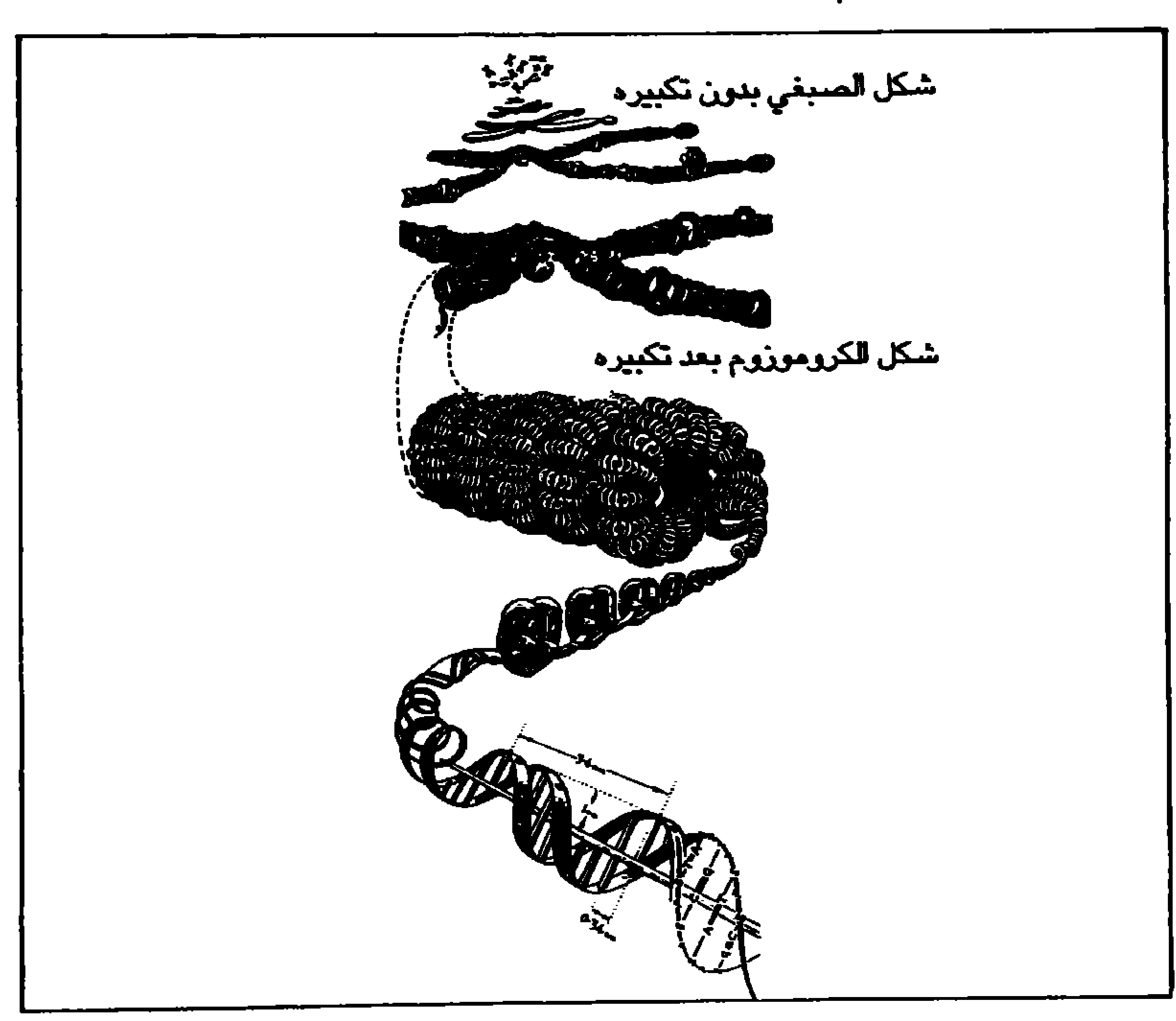


شكل (٥)

مجموعة من الكروموسومات كما نراها تحت المجهر الإلكتروني

وتستقر الكروموسومات (الصبغيات) في نواة الخلايا التي لا يزيد قطرها عن بضعة ميكرونات (الميكرون واحد من ألف جزء من الميلي متر).

يتألَّف الصبغي الواحد من سلسلة حلزونية مؤلَّفة من بروتينات نووية وأحماض أمينية ريبية منقوصة الأوكسجين، والتي يرمز لها علمياً بالدنا (DNA)، وأخرى غير منقوصة الأوكسجين (الرنا ـ RNA). تترتَّب الأحماض الأمينية على شكل سُلَّم حلزوني يبلغ طوله بعد إزالة الالتفاف منه مترين (شكل رقم ٦).



شكل رقم (٦)

بعد فرد الكروموسومين التوأمين نراهما تحت المجهر الإلكتروني شريطين طول كلٍّ منهما متران وعرضه (٢٠) أنغستروماً.

يتَّصل الشريطان ببعضهما بقواعد نتروجينية هي: الأدنين (A) والتايمين (T) والسيتوزين (C) والغوانين (G) وبجزيئات سكرية (S) وفوسفورية (P) فتأمَّلوا هذا الخلق الفذّ، وانظروا إن كان بإمكان مصادفة أن تنجزه وتظهره إلى الوجود!

فإذا كان طول الكروموسوم الواحد مترين، فإنَّ مجموع أطوال الـ(٤٦) كروموسوماً سيكون (٩٢) متراً، تستقرّ برمَّتها في النواة البالغة الدقة والتي لا يزيد قطرها عن (٣) ميكرون! . ألا تسطع هذه الحقيقة العلمية بنور الله الذي أحسن كلَّ شيء خلقه؟ .

تتَّحد الملايين من جزيئات الدنا لتشكّل سلسلتين متجاورتين ومتماثلتين في طولهما وشكلهما وبنيانهما، وفي الصفات الوراثية، وفي الشيفرة الإلـٰهية التي يحملانها .

تحتوي كل خلية جسدية على (٤٦) كروموسوماً عدا خلايا الأعراس (Gamete) أي الحيوان المنوي والبويضة، إذ يحتوي كلٌّ منهما على (٢٣) كروموسوماً فقط .

عندما يلتقي الحيوان المنوي بالبويضة ويخترق جدارها، يذوب في حناياها وتختلط كروموسوماته بكروموسوماتها ليشكّلا النطفة الأمشاج التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، والمشيج هو الخليط، والأمشاج أي المختلطة، وهو إعجاز إلـٰهي قرآني عظيم آخر أعلَمَنا به الخالق العظيم العليم قبل أن يكتشفه العلم الحديث بأكثر من (١٤٠٠) سنة! .

بعد هذا الاندماج الصِّبغي يحدث تفاعل نشط في الكروموسومات وتبادل كبير وسريع بين جينات الأم وجينات الأب، وبسرعة فائقة تتطابق الأزواج الكروموسومية في البويضة المخصَّبة ويصبح كلّ زوج منهما متماثلين في شكلهما وطولهما وتركيبهما، وفي تسلسل (الدنا) والقواعد النتروجينية فيهما، أي أنهما يحملان الصفات الوراثية نفسها، والمهام البيولوجية نفسها .

يبقى هذا التشابه في كلِّ زوج من الأزواج الكروموسومية الـ(٢٣) ثابتاً ومغايراً تماماً لشكل وخواصِّ الكروموسومات الأخرى في أثناء وبعد

الانقسامات الخليوية المتكرِّرة التي تنتاب البويضة المخصَّبة فتتحوَّل من خلية واحدة إلى كتلة من الخلايا تدعى بالتوتة لشدّة شبهها بهذه الثمرة.

كما تحافظ الكروموسومات على شكلها وصفاتها عندما تتمايز خلايا المضغة فتصبح كلّ مجموعة منها برعماً لعضو أو طرف من أعضاء وأطراف الجنين الذي سيتخلَّق ويتكوَّن عمَّا قريب، أي أنَّ الطابع الوراثي الذي كانت تحمله البويضة المخصَّبة سيبقى ويثبت، وسنراه في كافة خلايا الإنسان الذي سيتخلَّق من هذه البويضة، والتي يفوق تعدادها المئة تريليون خلية.

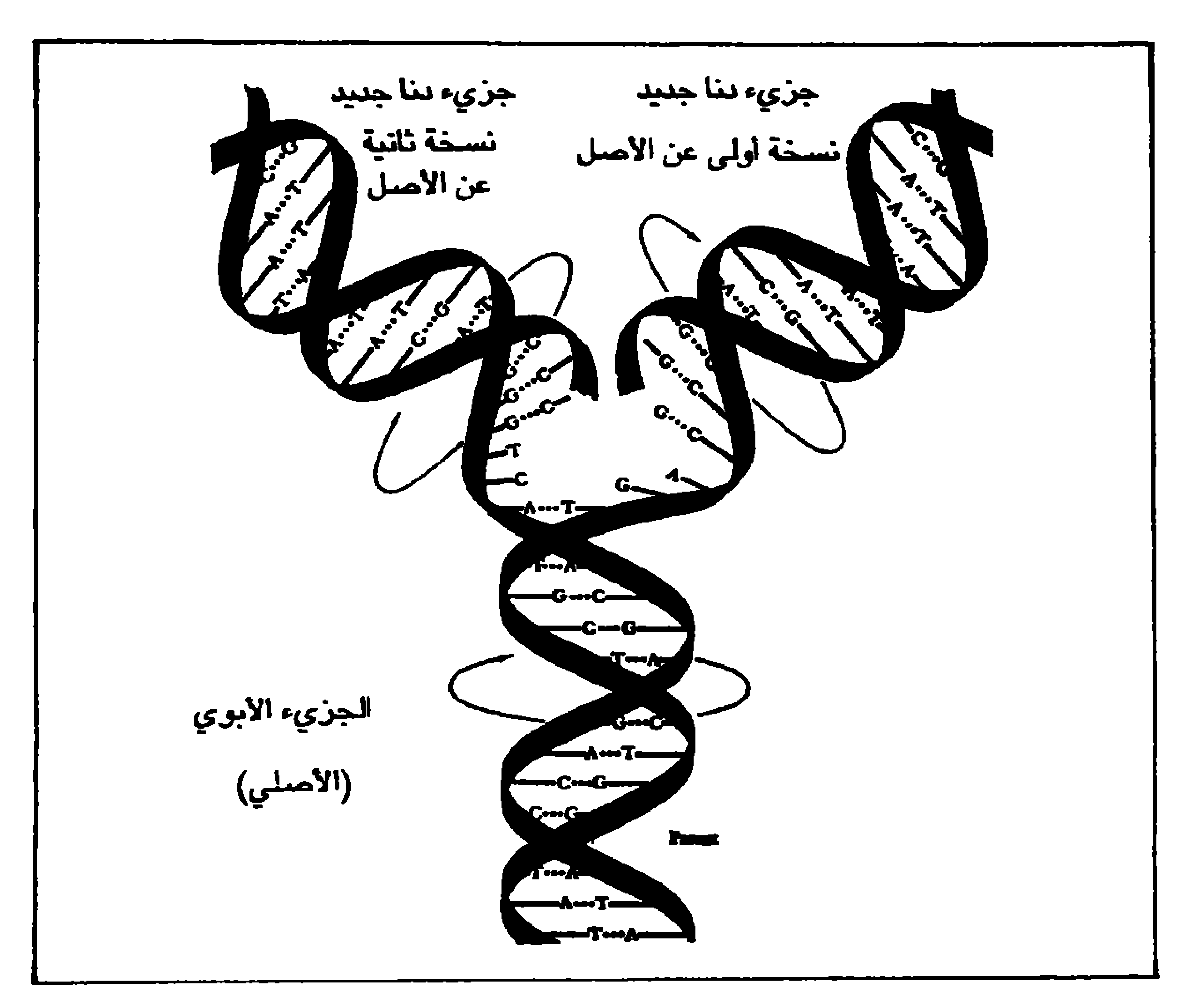
من هذا العرض يتبيَّن لنا أنَّ كلَّ إنسان يحمل في خلاياه كروموسومات وصفات وراثية أتته من أمه وأبيه. أمَّا عندما استنسخ العلماء النعجة (دوللي) فقد نزعوا نواة البويضة الملقَّحة التي تحتوي على كروموسومات نصفها من الأب ونصفها من الأم واستبدلوها بنواة خلية جسدية أخذوها من ضرع نعجة أخرى فأصبحت الكروموسومات في داخل البويضة مستقاة من مصدر واحد فقط، أي ليس فيها كروموسومات مستقاة من حيوان منوي، لذلك جاءت (دوللي) تحمل صفات النعجة نفسها التي أخذوا نواة خلية منها، أي: جاءت نسخة طبق الأصل عنها، ولا تحمل الصفات الوراثية للنعجة التي حملتها في رحمها!.

تسمَّى الوحدة الوراثية التي تتشكَّل بعد اندماج كروموسومات البويضة والحيوان المنوي وبعد أن يتمَّ تبادل الجينات فيما بين الكروموسومات، وبعد أن تتحدَّد الصفات الوراثية التي سيحملها المخلوق الجديد تسمى بالطابع الوراثي للفرد (Genotype)، وهي تمثِّل مجموع الصفات الوراثية التي اكتسبها من آبائه وأجداده ابتداءً من أبينا آدم وأمّنا حواء عليهما السلام، وانتهاءً بالوالدين أصحاب النطفتين اللتين تشكَّل منهما.

كما يسمى النمط الظاهر أو المرئي لهذه الصفات الوراثية بالطابع الظاهر (Phenotype)، وهذه تحمل صفات وراثية كثيرة ومقهورة أو متنحية، ولا تظهر لدى صاحبها، وصفات جمّة طاغية أو سائدة وهي التي تمثّل صفات المرء، وتحدِّد معالم شخصيته، ولون بشرته، ولون شعره، وعينيه، ونسبة ذكائه، وطوله، وعيوبه الخلقية، وأمراضه الوراثية التي يحملها، وغير ذلك من الصفات التي لا يمكن حصرها أبداً.

بعد اندماج كروموسومات الحيوان المنوي بكروموسومات البويضة، وبسبب التبادل الكبير النشط للجينات الذي سيتم بين الكروموسومات الـ(٤٦) الموجودة في البويضة المخصَّبة سيكون هناك احتمالات لتراكيب صبغية جديدة (طوابع وراثية) تقدَّر لدى الإنسان بثمانية ملايين احتمال أو طابع وراثي أو صيغة وراثية أو كروموسومية، وهي تميِّز هذا الإنسان عن كافة بني جنسه، ولو بلغ تعدادهم مئات المليارات، فهي إذن كالبصمة تميِّز الإنسان عن باقي بني جنسه. وبما أنَّ الطابع الوراثي للإنسان دقيق ولا يمكن بحالٍ من الأحوال أن يشبه أو يطابق طابعاً وراثياً لشخص آخر، فقد اعتمد الغرب لتحديد الأشخاص ولكشف الجراثيم على الطابع الوراثي لأنه أدقّ من البصمات بكثير.

وبعد أن تستقرّ عمليات التبادل الجيني بين الكروموسومات في البويضة المخصَّبة، تقوم الكروموسومات بنسخ نفسها بنفسها من خلال تفاعلات وعمليات حيوية بالغة الدقّة والتعقيد تنمّ عن حكمةٍ بالغةٍ في الخلق، وإعجاز إلهي مذهل، فتكون النتيجة انقساماً أو انشطاراً للكروموسومات طولانياً ليصبح كلّ كروموسوم اثنين متماثلين (شكل ٧).



شكل (٧)

الانقسام الطولي للكروموسوم بما يحمله من جينات ومورّثات، وبما أنَّ كل شريط من الزوج الكروموسومي يعطي نسخة طبق الأصل عنه، فإنَّ هذا يعني أنَّ الكروموسومات الجديدة مطابقة للأصل (للكروموسوم الأبوي)، لذا لا يمكن لقرد أن يتمخَّض عن إنسان، ولا للبوة أن تتمخَّض عن نمر، ولا لوحيد قرن أن يكون سليل الفيلة. أمَّا إذا ادَّارك علم الماديين والطبيعيين عن هذه الحقيقة العلمية الثابتة فهذه شأنهم. لقد جادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق[1]، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون

(١) قال تعالى: ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ﴾ [الكهف: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [غافر: ٥].

من خلال هذا الانقسام يصبح الكروموسومان أربعة، ينفصل كلّ اثنين منهما باتّجاه أحد أقطاب الخلية التي لا تلبث أن تنحصر عند منتصفها استعداداً للانقسام الأول لتصبح الخلية الأرومة (الأم) اثنتين (شكل رقم ٢)، كلٌّ منهما نسخة طبق الأصل عن الخلية الأم الأصلية. يتكرَّر انقسام الخلايا وانشطار الكروموسومات حتى تتشكَّل الكتلة الجرثومية (التوتة) التي تحتوي على عددٍ كبير من الخلايا المتماثلة فيما بينها والمماثلة للخلية الأم (النطفة الأمشاج).

بما أنَّ خلايا التوتة تكون متماثلة ومتطابقة في هذه المرحلة المبكّرة من عمر الجنين، أي: أنَّ خلاياها لم تتمايز بعد ولم تتخلَّق، لذا يمكن فصلها عن بعضها، وزراعتها في أرحام كثيرة لإنجاب عدد كبير جداً من التوائم المتماثلة في كلّ شيء، وحتى في طابعها الوراثي. هذا النوع من الاستنساخ سهل نسبياً وأسهل بكثير من عملية استنساخ النعجة (دوللي)، وقد تتطوَّر هذه العملية أو هذا النوع من الاستنساخ في المستقبل القريب أو البعيد، ولنقل بعد خمسين عاماً؛ فيصبح روتينياً. أما على الحيوانات فقد نجحت هذه العملية فأنتج علماء الوراثة مئات البقر من بويضة مخصبة واحدة بعد أن بلغت مرحلة التوتة، فسبحان الله، وسبحان من علَّم الإنسان ما لم يعلم.

لقد حاول علماء القرن العشرين وعلى مدى عقود تصنيع خلايا (الدنا) علَّهم يصلون إلى سرِّ الحياة فينتجوا خلية حية ومن ثم مخلوقات جديدة فباؤوا بالفشل والخذلان. وهذا بالطبع بديهي ومتوقَّع لهم، إذ كيف لهم أن يصنِّعوا شيئاً لا يمكنهم رؤيته ولا لمسه ولا مسكه ولا التعامل معه! إنّها مركَّبات في غاية الدقّة لا تُرى إلاَّ بالمجاهر الإلكترونية الضخمة المتطوّرة.

لقد تمكَّن العلماء من رصدها فقط بعد وشمها بعناصر مشعّة خاصة كالآزوت الثقيل وغيره، ثم كبَّروها (٦٠٠٠٠٠) مرة بعدسات المجهر الإلكتروني. فهل يمكن خلق أو تركيب شيء من هذا القبيل؟ لذلك بقي وسيبقى الخلق كلُّ الخلق لله سبحانه وتعالى، مهما تطوَّرت الهندسة الوراثية.

لقد عمد العلماء إلى العبث والتجريب في مكوّنات الخلية الحية؛ فغيَّروا نواة من صنع الله بأخرى من صنع الله وإبداعه أيضاً، فحصلوا على (دوللي)، وهم أعجز عن أن يصنعوا ذبابة، علماً بأنَّ الذبابة تحتوي فقط على ثلاثة أزواج من الكروموسومات، ولذلك تحدَّاهم العليم الحكيم خالق السموات والأرض بأن يخلقوا ذباباً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴾ [الحج: ٧٣].

نعم ضَعُفَ الطالب والمطلوب. فالإنسان مهما بلغ من العلم والمعرفة، فهو عند الله ضعيف كالذبابة، ولن يخلق شيئاً من صنع يديه، وهو بحاجة إلى من يخلقه ويصوِّره. وعلوم الإنسان مهما ازدهرت وتطوَّرت تبقى ضحلة ولا تعدل نقطة من بحر علم الله الواسع: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف: ١٠٩].

لقد فشلوا في تصنيع حمض نووي حيٍّ واحد بينما يحتوي الكروموسوم الواحد مليارات الأحماض النووية المذهلة، وفي الخلية الواحدة (٤٦) كروموسوماً، وفي الجسم البشري (١٠٠) تريليون خلية! فمن أين لهم أن يُجاروا في خلق الله؟ وأنَّى لهم أن يصنعوا كوناً يحتوي

على ما يزيد عن (١٠٠) مليون مجرّة، في كلّ مجرّة ما يزيد عن مئة مليون نجمة هائلة الحجم، ولكل نجم مجموعته الخاصة من الكواكب والأقمار والنيازك والأجرام الأخرى! إنَّهم أحقر عند الله من جناح بعوضة: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]، وقال سبحانه مذكّراً عباده: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، وقال جلَّ جلاله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥ ـ ٣٦]. نعم: ما خلق الله ذلك إلاّ بالحقّ، ويفصِّل الآيات لقوم يعلمون ويدركون.

* * *

الاستنساخ جريمة العصر

لقد دأب العلماء في أقصى الأرض وأدناها وعلى مدى عقود على تصنيع موادَّ عضوية حية، فكان الفشل حليفهم.

ومنذ أن اكتشف العالمان الأمريكيان (جيمس واتون) و(فرانسيس كريك) الحمض النووي الريبي المنقوص الأوكسجين (الدنا ـ DNA) الذي يعتبر اللبِنَة الأساسية في بنيان الكروموسومات ـ التي اعتبرها العلماء مادة الحياة ـ والعلماء منكبُّون على دراسة (الدنا) وتركيبه، وعلى فكِّ وتحليل الشيفرة الإلٰهية الكامنة في جزيئاته، ولكنَّهم فشلوا. كما فشلوا في تركيب قاعدة نتروجينية واحدة من ملايين القواعد التي يتركَّب منها جزيء (الدنا).

وكما قال سبحانه وتعالى فيهم، فإنَّهم أضعف من أن يخلقوا أضعف مخلوقات الله وأبسطها.

لقد رمى البيولوجيون من محاولات تركيب (الدنا) في مخابرهم أن يصلوا إلى سرِّ الحياة، ومن ثمَّ إنتاج كائنات حية تضاهي خلق الله (والعياذ بالله).

بعد أن يئسوا راحوا يدرسون خصائص الكروموسومات، فتمكَّنوا من كشف الشيفرة الوراثية في (٩٧٪) من الجينات البشرية، كما تمكَّنوا من فَهْمِ آلية عمل الكروموسومات والجينات وطريقة انقسامها ودورها في نشاطات الخلية، وفي نشاطات العضوية ككلّ، وفي الانقسام الخلوي المستمرّ، ودورها في حفظ الجنس البشري من دون أدنى تغيير عبر آلاف السنين.

بعد ذلك انكبُّوا على مقارنة جينات المرضى بجينات الأصحَّاء، فاكتشفوا الجينات المسؤولة عن كلٍّ من الأمراض الوراثية، ثم وبعد أن تطوَّرت الجراحة الوراثية تمكَّنوا من استبدال هذه الجينات بأخرى لا تحمل المرض. تتم هذه الجراحة البالغة الدقة والتعقيد على البويضة الملقَّحة خلال الساعات الأولى من تخصيبها وقبل أن تُباشر انقسامها الأول. من خلال هذه الجراحة الغريبة من نوعها تحرَّرت عائلات كثيرة من أمراضها الوراثية الطاغية والمستحكمة؛ كالتخلُّف العقلي، والعمى، والطرش، والعشى الليلي، والسكري، وارتفاع التوتر الشرياني (الضغط)، والأمراض الخبيثة، وكثير غيرها.

كما تمكَّن أصحاب هذا العلم العظيم من إحداث تغيُّرات مجهرية طفيفة في ترتيب جزيئات الدنا (Recombination) لدى العديد من الحيوانات والكثير من النباتات، فحسَّنوا بذلك منتجاتها كمّاً ونوعاً؛ فأنتجوا على سبيل المثال حبوباً غنية بالبروتينات لتوفِّر للفقراء بديلاً عن البروتين الحيواني، كما أنتجوا زيوتاً نباتية خالية من الكوليسترول الضار (LDA) الذي سبَّب احتشاءات قلبية (جلطات)، وتضيُّق شرايين القلب الإكليلية، وغرغرينا الأطراف السفلية التي انتهت إلى البتر لدى ملايين المرضى، كما أنتجوا خضراوات كثيرة كالبطاطا والبندورة بصفات أفضل، وأنتجوا بُنّاً خالياً من الكافئين لكي يتناوله مرضى القلب والضغط والتوتر العصبي وغيرها.

وفي عالم الحيوان تمكَّن علماء الهندسة الوراثية من زرع بعض الجينات البشرية في أجنّة البقر (في بويضاتها بعد تخصيبها وقبل مباشرة الانقسام فيها) فحصلوا على بقرات تنتج حليباً مشابهاً لحليب الأم، وغنياً بالأحماض الأمينية البشرية، وبالبروتينات البشرية التي حُضِّرت بديلاً عن حليب الأم، خاصة للأطفال المبتسرين (المولودين قبل أوانهم)، ولمن

يعانون من اضطرابات هضمية وإسهالات شديدة ونقص كبير في التغذية.

وبالأسلوب نفسه تمكّن العلماء من إنتاج موادَّ حيويةٍ وهورمونات وإنزيمات بشرية في الجراثيم، وفي أجسام بعض الحيوانات كالبقر والماعز والخنازير. لقد أنتجوا هورمون الإنسولين بخواصّ الإنسولين البشري فأعطى نتائج باهرة لدى مرضى السكر من دون آثار جانبية، فبدا وكأنَّه من مصدر بشري لا حيواني. كما أنتجوا الهورمون الحاثّ للمبيض (FSH) من البقر فخلَّصوا الكثير من النساء من عقمهنّ الذي كان يتهدَّد حياتهنّ الزوجية. كما زرعوا جينات بشرية في البقر والماعز وأنتجوا هورمون النمو الذي خلَّص الكثيرين من الأطفال من تأخُّر النمو؛ فأصبحوا شباناً وسيمين، ورجالاً مرموقين ناجين عوضاً عن أن يصبحوا أقزاماً متخلّفين بائسين. وبالأسلوب نفسه تمَّ إنتاج إنزيم اليورينيز (Urinase) الذي يميّع الدم ويحول دون حدوث جلطات مميتة، ويخلّص القلب والرئة والدماغ والأطراف من الجلطات الوخيمة التي تشكَّلت فيها، فخفَّفوا بذلك من معاناة الناس وبؤسهم. كما صار بالإمكان استخلاص لقاحات وأمصال كثيرة من أجسام الحيوانات لتحصّن البشرية من الأوبئة والأمراض الوبيلة؛ كالكوليرا، والجدري، والخنَّاق، والكزاز، والسعال الديكي، والحمّى النخاعية الشوكية، وكثير غيرها.

وكم أتمنَّى أن ينجحوا في إعداد لقاح ناجع يضع حدّاً للزحف المرعب للإيدز الذي أزهق أرواح الملايين من الناس ولا زال.

كما تمكَّن علماء الهندسة الوراثية من إنتاج الإنترفيرون الذي يدعم مناعة الجسم ومقاومته للعديد من الجراثيم الوخيمة والأورام الخبيثة.

أمَّا في مجال الأمن الغذائي، فقد تمكَّن فريق من العلماء من زرع جينات خاصة في جراثيم خاصة، فأصبحت تحوِّل النفايات إلى موادَّ

غذائية تقتات عليها مختلف الحيوانات، فأضحت النفايات بديلاً عن العَلَفِ والمرعى والفول والذرة وفول الصويا وغيرها من أغذية الحيوان.

ولكي يحصلوا على الجينات اللازمة لكلّ الأعمال السالفة الذكر قاموا بإنتاجها في الجراثيم المختلفة، فحوَّلوها بذلك من كائنات شديدة الأذى والفتك إلى كائنات نافعة، فسبحان الله.

لقد كان هذا الجانب المشرق من الهندسة الوراثية والجراحة الوراثية، ولكن لا تجري الرياح على الدوام بما تشتهي السفن، والنفس البشرية ضعيفة وهي أمَّارة بالسوء. لقد حصل ما كنّا نخشاه ونتوقّع، إذ جنح بعض العاملين في هذا الاختصاص العظيم ـ كما جنح غيرهم من أصحاب العلوم الأخرى ـ عن المسار الإنساني ، وراحوا يعبثون بمادة الحياة بعد أن يئسوا من تصنيعها وإنتاجها.

لقد كشف الخالق العليم بعض أسرار خلقه وعلومه لعباده ليدركوا وجوده سبحانه، وليروا عظيم صنعه وحكمته وطلاقة قدرته، وليتعرَّفوا آياته الرائعة؛ فيروا ويلمسوا بصماته الإلـٰهية المذهلة في كلّ ما خلق وفلق وبرأ، فيؤمنوا به إيماناً يقينياً راسخاً. ولكن سوَّلت للبعض نفوسهم الدنيئة أن يعبثوا بما أضحى جليّاً أمام أعينهم من أسرار الخلق والإخصاب. لقد استمرّوا بهذا العبث الشيطاني الذي أوصلهم إلى الاستنساخ الذي سأشرح كافة ملابساته في الصفحات الآتية ليطمئنَّ قلب المؤمن ويستقرّ.

لقد جعل الخالق العظيم في بويضة الإنسان (٢٣) كروموسوماً، وجعل مثلها في الحيوان المنوي، كما جعل في نواة كلّ خلية جسدية ضعف هذا العدد. كما شاءت حكمته سبحانه وتعالى أن تبدأ البويضة بالانقسام بمجرّد أن يصبح عدد كروموسوماتها (٤٦)، وهذا ما يحدث عندما يدخل رأس الحيوان المنوي إلى تجويفها ويذوب في حناياها

وتختلط كروموسوماته الـ(٢٣) مع كروسوماتها لتصبح (٤٦)، فتبدأ بالانقسام بضع ساعات. يستمر الانقسام حتى تصبح البويضة كالتوتـة (علَقة).

لقد استغلَّ بعض العابثين هذه الحقيقة العلمية أسوأ استغلال فنزعوا النواة من تجويف البويضة المخصَّبة قبل أن تبدأ بالانقسام الذي سيحدث بعد (٥ ـ ٦) ساعـات من الإخصاب، وزرعـوا عوضاً عنها نـواة بديلـة مأخوذة من خلية جسدية عادية، وفي تجربة (دوللي) أخذوها من ضرع نعجة أخرى، ولكن يمكنهم أخذها من الجلد أو من بطانة الفم أو من أي مكان في الجسم. وبما أنّ نواة أيِّ خلية جسدية تحتوي على (٤٦) كروموسوماً، فيستمرّ نشاط البويضة المخصَّبة (المحرَّضة من قبل الله على الانقسام) فتنقسم كما لو كانت نواتها الأصلية بداخلها.

فكما ترى عزيزي القارئ فإنَّ كافّة المواد التي استعملوها في تجربة استنساخ (دوللي) هي من خلق الله وبديع صنعه، ولم يستخدموا شيئاً من صنع أيديهم.

والآن ما هو الفرق بين الجنين الذي تشكَّل من بويضة تخصَّبت بحيوان منوي وبين الذي تشكَّل من بويضة بعد استبدال نواتها بنواة خلية أخرى؟.

● في البويضة الأولى ستكون نصف كروموسوماتها مستمدَّةً من الأم، والنصف الآخر من الأب، أي أنّ الجنين سيحمل صفات وراثية من أبيه وأمه، وسيكون إما ذكراً أو أنثى، وذلك حسب نوع الكروموسوم الجنسي للحيوان المنوي الذي خصَّب البويضة، فإن كان يحمل الكروموسوم (X) جاء المولود أنثى، وإن كان يحمل الكروموسوم (Y) جاء المولود ذكراً. فتحديد جنس الجنين من النطفة التي تُمنى، أي: التي

تتدفّق، والذي يتدفّق هو نطاف الذكر لا الأنثى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝٤٥ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥ ـ ٤٦]. هل تلاحظ عزيزي القارئ الإعجاز الإلـهي الكامن في هاتين الآيتين الصغيرتين؟!.

● أمّا في الحالة الثانية، أي بعد استبدال نواة البويضة بنواة جسدية من نعجة أخرى، فإنَّ كافة الكروموسومات في البويضة ستكون مستمدّة من خلية جسدية من حيوان واحد، وبذلك سيحمل الجنين فقط الصفات الوراثيـة الخاصة بصاحب النواة الدخيلة، أي أنّه سيكون نسخة طبق الأصل عنه، وهذا ما سمّاه العلماء بالاستنساخ (Cloning)، وهذا ما قام به العابثون عندما استنسـخوا (دوللي). وإليك عزيزي القارئ القصـة من بدايتها إلى نهايتها.

يوجد في أدنبرة ـ عاصمة اسكتلندة ـ مركز علمي متخصِّص في العلوم البيولوجية وفي الهندسة والجراحة الوراثيتين، وهو معهد روزلين الشهير بدراساته وأبحاثه، والذي يقصده طلاّب العلم من أقصى الأرض وأدناها لينهلوا من علومه ويكتسبوا من خبرات العلماء العاملين فيـه، والذي يزيد عددهم عن (٣٠٠) عالم. لقد برع علماء هذا المعهد بشكل خاص في تقنية الجراحة الوراثية البالغة الدقة والتعقيد؛ لأنها جراحة تتمّ من خلال المجاهر الإلكترونية المتطوّرة، وتحتاج إلى مخابر وتجهيزات معقَّدة جداً.

لقد كرَّس علماء معهد روزلين اهتماماتهم وجهودهم على إنتاج مواد عضوية وإنزيمات وهورمونات ولقاحات لتخدم البشرية جمعاء، ولكنَّ اثنين فقط من هؤلاء العلماء وهما (إيان ويلموت) و(كيث كامبل) وهما إنكليزيان شذّا عن الركب وراحا يعبثان بآلية الإخصاب لدى النعاج.

لقد أخذا بويضة نعجة ناضجة بواسطة قثطرة خاصة من خلال

جراحة المناظير، وأدخلا فيها حيواناً منوياً فتخصَّبت. بعد ذلك استخرجا نواة البويضة المخصَّبة وأدخلا إلى جسم أو تجويف البويضة نواة جسدية أخذوها من خلية ضرع نعجة أخرى. بعد ذلك حرَّضا هذه البويضة (وهي خارج الجسم في أنبوب اختبار خاص محفوظ في حاضنة توفِّر لها نفس حرارة ورطوبة الرحم) بتيار كهربائي خفيف جداً، فإذا بالبويضة تنقسم إلى خليتين فأربع فثمانية وهكذا، حتى أضحت كتلة جرثومية (علقة). بعد ذلك زرعا العلقة في بطانة رحم نعجة التجربة فسقطت البويضة وأُجهضت.

لقد كرَّرا المحاولة حوالي (٣٠٠) مرة خلال (١٠) سنوات، وكانت النعجة في كلّ مرة تُجهض جنيناً ميتاً أو مشوَّهاً. . وهكذا حتى ثبت الحمل في عدة محاولات، ولكن المواليد كانوا مشوَّهين وماتوا خلال الأيام الأولى بعد الولادة. وفي النهاية جاءت (دوللي) وكانت نسخة طبق الأصل عن النعجة التي أخذا نواةً من إحدى خلايا ضرعها. لقد أعطيا هذه النعجة اسم أجمل فنَّانة أمريكية آنذاك (دوللي) ليزيدا من شهرة عملهما، وليلفتا أنظار البشر إلى إنجازهما الذي كان ظاهره علمياً، وباطنه تحدّياً أحمق لعَظَمة الخالق جلَّ جلاله، ولذا افتعلا ضجّة كبيرة تنمّ عن تحدٍّ سافرٍ وتصريحاتٍ تَعِدُ باستنساخ البشر في القريب العاجل. وهذا ما أسخط الناس ورجال الدين من كافة الديانات السماوية.

وكما ترى عزيزي القارئ، فالعالمان لم يَخلُقا بويضة ولا نواة، وهم أعجز من أن يصنعوا جزءاً صغيراً من جدار البويضة أو النواة، كما أنهم أعجز من أن يصنعوا جزيء (دنا) واحداً من مليارات الجزيئات التي يتكوَّن منها الكروموسوم الواحد؛ فكيف لهم أن يصنعوا (٤٦) كروموسوماً ونواة وبويضة تحتوي على عضيَّات دقيقة، كلّ منها أعقد من عشرات الكمبيوترات؟!.

إنَّهما أضعف وأعجز من أن يصنعا جَناحَ بعوضة، وكما قرأنا فإنَّ مكوِّنات النعجة (دوللي) التي أُنتجتْ كانت من صنع الخالق العظيم جلَّ جلاله، ولم يأتيا بشيءٍ من عندهما أو من صنع أيديهما أو مختبراتهما. فما الذي فعله هذان العابثان؟.

لقد كان توقُّع العلماء أن تنقسم البويضة بعد زرع نواة جسدية فيها لتعطي عدداً كبيراً من الخلايا المشابهة للبويضة الأصلية، أي: مشابهة لخلايا الضرع، ولكنّهم فوجئوا بتشكّل جنين. فالاكتشاف جاء مصادفةً ولم يكن بالحسبان! وهذا يعني أنَّ وراء ذلك إرادة إلـٰهية وشيئاً مقدَّراً من الله، وموجوداً في الكروموسومات. هذا الشيء هو الجين المقهور أو المثبَّط والمسؤول عن الاستنساخ. العلماء يعلمون عن هذه الجينات ويعلمون عن جين الاستنساخ الذي يستنسخ خلية الضرع أو أي خلية هو بداخلها عندما تبلى أو تشيخ أو تتهتَّك أو تتخرَّب هذه الخلية لسبب من الأسباب. هذا الاستنساخ الخلوي موجود ومعروف، لذا كان توقُّع العالمين القائمين على هذه التجربة أن يحصلا على خلايا ثدي أو نسيج ثدي، ولكنّهما فوجئا بتشكّل جنين، فعلما أنَّ التحريض الكهربي الذي سلَّطاه على البويضة قد حرَّض جين الاستنساخ الجسدي الذي كان مقهوراً فأضحى طاغياً وفاعلاً، وقد يكون العامل المحرِّض شيئاً آخر مجهولاً لا يعلمه إلاَّ الله العليم بأسرار خلقه.

بعد هذه المفاجأة راح العالمان ينمِّقان ويحسِّنان تقنية التجربة حتى نجحت بعد عشر سنوات من العمل الدؤوب وبعد حوالي (٣٠٠) محاولة فاشلة. لقد انكشف سرّ إلـٰهي جديد لهذين العالمين، وتوفّرت لديهما البويضة والنواة، وقدرة البويضة على الانقسام، فعملا بالأسباب التي وفَّرها لهما الله وكشف لهما حجاب الغيب عنها فكان ما كان: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

لقد قاما بالأسباب تماماً كما يقوم الأزواج من بني آدم بأسباب الإنجاب ليحافظوا على جنسهم من الفناء والانقراض. فهل يمكن لأحد أن يدَّعي أنّه خلق ابنه لمجرَّد اتصاله بزوجته؟ وهل يدَّعي مكتشف الجاذبية بأنّه أبدعها؟ وهل نصدِّق أحداً إذا ادّعى أنَّه صنع مغناطيسية الأرض أو الغلاف الجوي للأرض أو الكهرباء أو السموات أو الأرض أو غيرها؟!.

ولمن يتبجَّح من الماديين والملحدين المغرضين أنّه صار بإمكان الإنسان أن يخلق الإنسان فإنّي أسألهم إن أرادوا مجاراة الله في خلقه أن ينجزوا ذلك بأسلوب خاص بهم يُبرز عبقريتهم وقدراتهم ومدى علمهم، لا أن يقلّدوا أسلوب الله ولا أن يستخدموا ما سبق أنْ خلقه. فإن فشلوا (والفشل أكيد) وأرادوا فقط تقليد أسلوب الله في خلقه وتصويره، فإنَّ عليهم أن يصنِّعوا بويضات وحيوانات منوية بأيديهم وفي مخابرهم: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الواقعة: ٥٧ _ ٥٩].

فالاستنساخ كما رأينا ليس إلاَّ ضرباً من ضروب الخلق والإعجاز الإلـهيين، ومثالاً عظيماً على طلاقة قدرته سبحانه وتعالى الذي يخلق ما يشاء. وأنا أرى أنَّ النعجة (دوللي) من خلق الله وتقديره وحده، والعلماء قد عملوا بالأسباب المتوفّرة لهم واستغنوا بما كشف لهم الله من حقائق كانت إلى عهد قريب غيبيَّة. كما لا أرى في أسلوب تخلُّق (دوللي) أيَّ تحدٍّ لكبريائه وعَظَمته وقدراته سبحانه وتعالى؛ لأنَّه ومنذ الأزل ومنذ أن خلق الله آدم وحواء بيديه قدَّر هذا النوع أو الأسلوب من التخليق وجعله مقهوراً أو مثبطاً، وسترى عزيزي القارئ توضيحاً كافياً ومقنعاً لهذا الرأي العلمي:

كلّنا يعلم أنَّ خلايا الجسم البشري تشيخ وتتقاعس، تماماً كالجسم كلّه، يشيخ ويتقاعس، لذلك وقبل أن تموت الخلايا نهائياً مكَّنها الخالق الحكيم من تجديد نفسها بنفسها، وبمعنى آخر فإنَّ خلايا الجسم تستنسخ نفسها بنفسها في كلّ آن وكلّ حين، لأنَّ لكل خلية عمراً افتراضياً تموت بعده، ولولا هذا التجدُّد والاستنساخ الذي قدَّره الله سبحانه وتعالى فيها لكان عمر الإنسان ومخلوقات الله محدوداً ومحدوداً جداً.

لقد اكتشف علماء معهد روزلين سرّاً جديداً من أسرار الله في خلقه، كان الأساس الذي اعتمدوا عليه فيما بعد في تجارب الاستنساخ. لقد تبيَّن لهم أنَّ من بين الجينات التي تُقدَّر بعشرات الآلاف في كل كروموسوم هناك جينات مسؤولة عن إنتاج أجنَّة كاملة، أي أنَّها مقدَّرة من الله العليّ القدير لتستنسخ الجسم بأكمله، كما تبيَّن لهم أنَّ هذه الجينات مقهورة ومثبَّطة بقدرة ومشيئة العليم الخبير، كما وجدوا جينات أخرى تحمل صفة الاستنساخ الخلوي، أي على مستوى الخلية فقط لتمكّنها من استنساخ أو تجديد أو تصنيع نفسها بنفسها، كما تبيَّن للعلماء أنَّ الجينات الأخيرة سائدة أو طاغية، فأضحت هذه الصفة وظيفة أساسية للخلية الجسدية الحية، ولذلك تتجدَّد كافة خلايا الجسم باستمرار قبل أن تنفق. فخلايا الكبد تتجدَّد كل (٤) أشهر علماً بأنَّ عددها (٢٠٠ ـ ٣٠٠) مليار خلية، وهذا يعني أنَّ الاستنساخ الخلوي مستمرّ دائماً في الكبد، كما تتجدَّد خلايا البشرة كل (٧٥) يوماً، وكريات الدم الحمراء كل (١٢٠) يوماً وهكذا. . . فالاستنساخ موجود في كافة أعضاء وخلايا الجسم في كلّ آن وكلّ حين. وهذا ما تمكَّن علماء معهد روزلين من اكتشافه من خلال التقنية الكبيرة المتوفِّرة بين أيديهم (الأسباب المتوفرة لهم).

وبأسلوب علمي رائع تمكَّن العلماء من تثبيط الجينات المسؤولة عن نسخ الخلية لنفسها، ثم حرَّضوا الجينات المثبَّطة أو المتنحية التي إن

نشطت فإنَّها ستنتج جيناً أو مخلوقاً كاملاً. هذه هي الأسباب الإلـٰهية التي اكتشفوها وعملوا بها فتوصَّلوا إلى استنساخ (دوللي)، تماماً كما نعمل نحن بالأسباب التي هيَّأها الحكيم الخبير لنا من خلال الزواج والاتّصال الجنسي لنحافظ على الجنس البشري[1].

فبعد أن أخذ العلماء نواة خلية من ضرع نعجة ثبَّطوا بوسائلهم التقنية الجين السائد المسؤول عن الانقسام واستنساخ الخلية لنفسها، وحرَّضوا الجين المقهور المسؤول عن استنساخ جنين كامل، ثم زرعوها في بويضة نعجة منزوعة النواة فأنتجت جنيناً كاملاً عوضاً عن أن تنتج ثدياً أو خلايا ثدي.

فكما أنَّ البويضة والحيوانات المنوية من صنع الله، وأنَّ الحمل والإنجاب لا يتمّان إلاّ بإرادة الله ومشيئته؛ فإنَّ البويضة ونواة الخلية الجسدية وما تحتويه من كروموسومات وجينات هي الأخرى من صنع الله الذي قدَّر فيها جينات الاستنساخ، السائدة منها والمتنحية (المقهورة) على حدٍّ سواء.

لقد شاءت الحكمة الإلـٰهية أن تنجح تجربة استنساخ (دوللي) ليرينا سبحانه وتعالى المزيد من أسرار خلقه، ودقيق وعظيم صنعه ومعجزاته؛ لتكون أدلَّة مادية تسطع بنوره وتؤكِّد وجوده سبحانه، فنؤمن به، ولنزداد إيماناً على إيماننا. كما شاءت حكمته سبحانه وتعالى من خلال الاستنساخ أن يختبر صدق إيماننا، وأن يكشف لضعاف القلوب ضعفهم وهواجسهم ووساوسهم، فيعودوا إلى بارئهم مُنيبين إليه مستغفرين.

من هذا العرض يتبيَّن لنا أنَّ الاستنساخ ليس إلاَّ شكلاً من أشكال

---

(١) ولنحقق السنّة الإلـٰهية الكونية، ولنحقق العفاف الاجتماعي.

القدرة الإلـهية اللامتناهية، كخلقه سبحانه لآدم وحواء من دون أب ولا أم، وخلقه لعيسى عليه السلام من أم بدون أب: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم: ١٦ ـ ٢٣].

وبذلك حملت السيدة البتول بأسلوب خارق يبيِّن عَظَمة الله وطلاقة قدرته؛ ليثبت للبشرية جمعاء أنَّه الواحد الخالق البارئ المصوّر، وأنَّ الخوارق هيِّنة عليه.

ومن طلاقة قدرته سبحانه وتعالى أن خلق يحيى من سيدنا زكريا العجوز الذي رقَّ عظمه، ونَحُلَ جسمه، وخمدت قدراته الجسدية والجنسية بعدما تجاوز المئة سنة من العمر. لقد وهبه من زوجته العجوز مثله والعقيم منذ صباها، وهبه (يحيى) آيةً للناس تدلُّ على عَظَمة الله وقدراته.

والأمر نفسه حصل من قَبْلُ لسيدنا إبراهيم مع زوجه التي ولدت له إسحاق وهي عقيم، وكلاهما قد بلغا من الكبر عتياً. ولمّا بشّرتهما الملائكة بإسحاق تبسَّمت سارة و﴿ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٢ ـ ٧٣].

بالفعل حاضت السيدة العجوز من حينها ورُزِقَت بإسحاق.

ومن عظيم قدرته سبحانه وتعالى أن مسخ من قوم موسى قردة وخنازير، وأوجد لنا مخلوقات تتكاثر من دون تزاوج كالأميبا والديدان وبعض طوائف النحل لنتأمَّل ونتَّعظ، فلا نفهم الاستنساخ بشكل خاطئ.

لقد كان الاستنساخ خلقاً مقدَّراً من الله سبحانه وتعالى، ودليل ذلك أنَّه سبحانه أوجد وقدَّر له جينات خاصة تقوم به في كافة خلايا أجسامنا، ولكنّه سبحانه وتعالى اختار لنا التناسل والتكاثر بالتزاوج لحكمة معروفة ولكونه الأبسط، لذلك جعل سبحانه وتعالى هذه الجينات مقهورة ومتنحِّية، ولولا خلق الله لهذه الجينات، لما كان هناك استنساخ.

لو علمت عزيزي القارئ أنَّ استبدال نواة خلية بنواة خلية أخرى عمل بسيط وبسيط جداً في مجال الهندسة والجراحة الوراثيتين إذا ما قارنّا هذا العمل بتبديل الجينات الشديد التعقيد والدقة! ولو علمت أنَّ تجربة (دوللي) من التجارب البسيطة جداً التي يوكلون أمرها في معهد روزلين وغيره من المعاهد المتخصِّصة إلى المبتدئين من طلاّب العلم! فإنَّك ستدرك أنَّ ما قام ويقوم به العلماء لم يكن يستحقّ كلَّ الصخب والإعلام الهائلين، والفورة التي افتعلها المُغرِضون؛ ليزلزلوا عقيدة المؤمنين، ويشكّكوهم بدينهم وخالقهم. وأنا لا أرى ما يدعو للقلق، كما لا أجد في الاستنساخ أدنى تحدٍّ لقدرة الله وعظيم شأنه وشموخه وكبريائه أبداً، بل انشكف لي كما انكشف أمام بصيرة كثيرين غيري قُدرات إلـٰهية فذَّة جديدة كانت من الغيبيات فأضحت في عالم الشهادة، تماماً كانكشاف النطفة والعلقة والمضغة والنطفة الأمشاج وغيرها، كما أنَّ تصميمات مذهلة إن دلَّت على شيء فإنَّها تدلُّ على وجود خالق عظيم حكيم ومبدع كبير. كما رأيت بحكم دراستي للطبّ والبيولوجيا وعلم الوراثة ما قد يعجز عن رؤيته أو الاستدلال عليه من لم يدرسوا هذه العلوم. . لقد رأيت ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، رأيت بصائر من ربي، بصائر من كان

قد دعانا سبحانه وتعالى أن نسعى باحثين عنها لندرك وجوده جلَّ جلاله، ولنرى عَظَمة بصماته في كلِّ شيء خلقَه؛ فيصبح إيماننا به يقينياً راسخاً ثابتاً لا تتقاذفه هواجس الشياطين ونظريات الماديين والملحدين: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ۝ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠ ـ ٢١].

لو أنتج لنا هؤلاء العابثون مخلوقاً جديداً من بويضة ونواة من إبداعهم ومن إنتاج مختبراتهم فإننا سنقف عندئذٍ مصعوقين مذهولين، وسنعيد حساباتنا في كلّ شيء (والعياذ بالله من غضب الله)، ولكنَّ شيئاً من هذا لم ولن يحدث أبداً، إذ كيف لهم أن يصنعوا خليةً حيّةً فيها (٤٦) كروموسوماً، في كلِّ كروموسوم (٥٠٠٠٠) جين، كلّ جين يتركَّب من ملايين القواعد النتروجينية ومن الأحماض النووية المنقوصة الأكسجين (الدنا DNA) ومن (الرنا RNA)التي لا يمكن رؤيتها بالعين المجرَّدة! كيف لهم أن يصنعوا كلَّ هذا وهم قد فشلوا في تحضير أبسط المركَّبات العضوية الحية تركيباً؟! فهل بإمكان من فشل في صناعة قاعدة نتروجينية واحدة أن يخلق بشراً أو نعجة أو أرنباً؟! إنَّهم ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾ [الحج: ٧٣]، والذباب كما سبق وأشرنا تحتوي نواة خلاياه على ثلاثة أزواج من الكروموسومات فقط، أي أنه من أبسط مخلوقات الله، وهذا هو السرُّ الإلٰهي الغيبي وراء تحدِّيهم بأن يخلقوا ذباباً! فسبحان الله العليم الخبير.

لقد فشلوا في خلق ما هو أدنى من الذبابة وأبسط، لقد فشلوا في خلق أميبا مجهري صغير، على الرغم من أنه يتألف من خلية واحدة، كما فشلوا في صناعة قاعدة نتروجينية واحدة، و(الدنا) مؤلَّف من مليارات القواعد النتروجينية، والكروموسوم مؤلَّف من المليارات من جزيئات (الدنا)، فكيف لهم أن يخلقوا خليةً حيةً واحدة؟! وكيف لهم أن يخلقوا

إنساناً يتكوَّن من (١٠٠) تريليون خلية؟ لذلك أعلنوها وبصراحة كبيرة في مؤتمرهم العلمي الذي أقاموه في نيويورك عام (١٩٥٩م): لا يمكن للإنسان أن يخلق موادَّ عضوية حيَّة، وقالوا بأنَّ الحياة لا تأتي إلاّ من التزاوج، ولا سبيل إلى غير ذلك!.

لقد جاؤوا من كلِّ فجٍّ عميق ليتدارسوا فيما بينهم نتائج أبحاثهم في مضمار الخلق ليقولوا بأنَّ الخلق كلَّ الخلق لله وحده لا شريك له سبحانه: ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٥].

وعلماء البيولوجية الذين جاؤوا من كلِّ حَدبٍ وصوب لهذا المؤتمر هم خير مَن يعلمون. لقد كان وعداً من الله أن يُري هؤلاء العلماء آياته وعظيم خلقه وقدرته، ووعد الله حق: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣].

لم تكن (دوللي) الأولى والوحيدة لتجارب العلماء وعبثهم، كما لم ولن تكون الأخيرة، فقد أنتج بعضهم في فبراير ـ شباط (١٩٩٧م) بقرة أطلقوا عليها اسم روزي (Rosie)، لقد زرعوا في بويضتها بعد تخصيبها جينات بشرية متخصِّصة بإنتاج الحليب، فجاء حليب البقرة مشابهاً في تركيبه وخواصّه لحليب الإنسان.

لقد كان هذا العمل إنجازاً مذهلاً، وهو أصعب وأدقّ بكثير من تجربة (دوللي). لقد بلغت تكاليف هذا الإنجاز (Rosie) أربعة ملايين دولار، بينما بلغت تكاليف إنتاج دوللي (٥٠٠٠٠) دولار فقط.

ولتقريب هذا الأمر وتسهيل فهمه نقول: إنَّ التعامل مع شيء تراه أسهل بكثير من التعامل مع شيء لا تراه أبداً. والنواة وإن كانت لا تُرى بالعين المجرّدة لا هي ولا الخلية، إلاّ أنّنا نراها بيسر تحت المجهر العادي الذي يكبّر بضعة آلاف من المرّات. لذلك فإنَّ نقلها من خلية إلى أخرى

سهل نسبياً، أمَّا نقل جين لا يُرى إلاَّ بالمجاهر الإلكترونية التي تكبِّر أكثر من (٦٠٠٠٠٠) مرة بعد وشمها بالمواد المُشِعَّة فإنَّـه عملٌ بالغُ الدقّـة والصعوبة، وإنجازه يعتبر نجاحاً كبيراً وفتحاً مبينـاً في عالم الهندسـة الوراثية والبيولوجيا بشكلٍ عام، فبدت تجربة (دوللي) أمام هذا الإنجاز هزيلة وسخيفة!.

ففي مارس ـ آذار (١٩٩٧م)، أي في العام نفسه الذي جاءت فيه (روزي) و(دوللي) إلى الدنيا استنسخ الأمريكيون وبعد مئات المحاولات الفاشـلة قردين مشـوَّهين، وقبل وبعـد (دوللي) و(روزي) قام علماء سويسريون وإيطاليون بتجارب كثيرة مشابهة باءت كلّها بالفشل.

ففي عام (١٩٥٢م) قام العالمان (روبرت بريغر) و(توماس كينج) باستنساخ عدد كبير من الضفادع، ثم تلاها العالم جون غوردن ـ الأستاذ في جامعة أوكسفورد ـ فاستنسـخ في عـام (١٩٦٢م) ضفـادع بأسـلوب استنساخ (دوللي). ثم ظهر إلى الوجود عام (١٩٨٣م) مخلوق مستنسخ من عنزة وخروف. وفي عام (١٩٨٥م) زرع بعض العلماء جينات بشرية في بويضات الخنازير، فأنتجوا حيواناً يشبه الخنزير (أي أنّه مشوَّه) ولكنّه ينتج هورمون النمو البشري (Growth Hormon) الذي يُستخدم في معالجة القزامـة وأصحاب النمـوّ المتخلِّف أو البطـيء فيخلِّصهم من محنتهم الكبيرة.

وفي عام (١٩٩٣م) استنسخ بعض العابثين أجنَّة بشرية، ولكنَّهم لم يزرعوها في بويضات النساء المخصَّبة، ولم يُسمح بدخولها إلى أرحام النساء، لأنهم لم يجدوا متبرّعات تجارينهم في هذا العبث الأخرق.

وفي عام (١٩٩٦م) استنسخ العالم (إيان ويلموت) (٢٤٤) جنيناً لشياه من بويضات منقسمة لا زالت في مرحلة العلقة (التوتة ـ Morula).

وكما سبق وأشرنا تكون خلايا التوتة في هذه المرحلة غير متمايزة، أي أنها متشابهة تماماً فيما بينها، وكل منها نسخة طبق الأصل عن أمها (البويضة المخصَّبة ـ النطفة الأمشاج).

لقد أخذ العالم (ويلموت) التوتة وفصل خلاياها المتماثلة عن بعضها، ثم زرع كلاً منها في بويضات شياه مخصَّبة بعد أن نزع نواتها، فأنتج (٢٤٤) جنيناً ماتوا كلّهم عدا خمسة ولدوا ليموت منهم ثلاثة بعد عشرة أيام، ويقي من الـ(٢٤٤) جنيناً شاتان فقط على قيد الحياة وهما: (ميغان) و(مورغان).

لقد كلَّفت التجربة مئات الآلاف من الدولارات، وكانت النتيجة وفاة كافة الحيوانات عدا اثنين. فلو فرضنا أنَّ تقنية العصر الحديث كانت متوفرة بين يدي آدم وحواء عليهما السلام، فهل كانت ستفلح محاولاتهما للتكاثر بهذا الأسلوب ومن ثم الحفاظ على الجنس البشري؟ فسبحان المدبِّر الكبير والخالق الحكيم.

نرى من هذا البحث مدى الحكمة الإلـٰهية والعَظَمة ليس في دقّة الخلق وحسب، بل في أسلوبه البسيط الذي مكَّن الحيوان والإنسان منه، ولولا حكمته سبحانه لما كان هناك جنس بشري ولا حيواني على وجه الأرض. فسبحانك اللهم!.

لقد تتالت التجارب بعد ذلك، وكان بعضها غريباً وبعضها الآخر مذهلاً لكونها أثبتت حقائق علمية أزليّة كان قد ورد ذكرها في آيات الذكر الحكيم، ولأنَّ بعضاً منها قد كشف المزيد من معجزات الله وأسراره في خلقه.

من هذه الأعمال: ما قام به العالمان الأمريكيان (جيري هول) و(روبرت ستيلمان) اللذان أخذا بويضة قرد ولقَّحاها بحيوان منوي

قردي، ثم وضعاها في حاضنة خاصة توفر لها بيئة الرحم نفسه. لقد انتظرا على البويضة حتى أتمَّت انقساماتها وأضحت توتة (علقة).

لقد فحصا هذه الخلايا تحت المجهر فوجدا أنَّ كلاً منها نسخة طبق الأصل عن باقي الخلايا وعن البويضة الأرومة بعد تخصيبها (البويضة الأصلية الأم). وبدراستهما للكروموسومات في كلٍّ من هذه الخلايا وجدا أنَّها متماثلة ومتطابقة تماماً في شكلها وخواصِّها وتركيبها وعددها، وفي تتالي الأحماض النووية فيها، وهي نُسخ متكرِّرة عن كروموسومات البويضة المخصَّبة الأم (أي التي نشؤوا منها)، أي لم يشاهد العالمان أيَّ تمايز أو اختلاف أو تخصُّص فيما بين هذه الخلايا الكثيرة الموجودة في التوتة (Morula)، كما لم يريا فيها براعم للأعضاء والأطراف، أي أنها كلها ما زالت غير مخلَّقة.

وبمراقبة هذه العلقة ومتابعة ما يحدث فيها وما سيطرأ عليها من تغيّرات وجدا أنَّ خلاياها بدأت بالتمايز والاختلاف عن بعضها، ومن ثم التخصُّص وظهور بدايات براعم الأعضاء والأطراف بعد (٤٠) يوماً من الإخصاب، أي عندما تصبح العلقة مضغة (مخلَّقة وغير مخلَّقة).

وتؤكِّد هذه الحقيقة العلمية صحّة ما جاء في الآية الكريمة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ ﴾ [الحج: ٥].

هذا التطابق الكبير بين ما جاء في القرآن الكريم من حقائق علمية من حوالي (١٤٠٠) سنة قبل أن يكتشفها العلم الحديث في النصف الثاني من

القرن العشرين ليؤكّد بما لا يدع مجالاً للشكّ أنَّ القرآن الكريم كلام الله، وأنّه وحده سبحانه الذي خلق الخلق؛ لأنّه كان أوّل من أورد قصّة الخلق هذه، وكشف الكثير الكثير من أسرار هذا الخلق التي لا يعلمها إلا هو سبحانه؛ لأنَّه وحده بارئها ومبدعها والأعلم بأسرار أعماله.

عندما اطَّلع البروفسور كيث مور (Keith Moore) وهو أشهر أستاذ جامعي في علم الأجنَّة في أمريكة والعالم، عندما اطَّلع على هذه الآيات القرآنية من خلال المؤتمرات العلمية التي انعقدت في القاهرة والرياض لإظهار الإعجاز العلمي للقرآن قال: «لا يمكن بحال من الأحوال أن تكون هذه الآيات العظيمة التي جاءت قبل أكثر من (١٣٠٠) سنة من مصدر بشري. ولا بد لمن قالها أن يكون الخالق نفسه الذي أبدعها، لأنّه وحده الذي كان يعلم هذه الأسرار عن الخلق في ذلك الزمان».

لقد كشف سبحانه وتعالى حجاب الغيب عن بعض أسرار خلقه ليرينا آياته فنعرفها ونتأكّد من وجوده وعَظَمته، وأنَّه وحده الخالق البارئ المصوّر، فنؤمن به من دون تردّد، ومن دون شكوك ولا هواجس: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ﴾ [فصلت: ٥٣]، وقال سبحانه: ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾ [سبأ: ٦]، وبالفعل وفي المؤتمر نفسه قال العالم التايلاندي البروفسور (تاجاس تاجسون) المتخصِّص في علم الأجنَّة: «لا أعتقد أنَّ نبيَّكم قد عرف هذه التفاصيل الدقيقة عن أطوار تخلّق الجنين وتصويره، ولا بدّ أنّه كان على اتّصال مع عالم كبير كان يطلعه على هذا الكمِّ الهائل من الحقائق العلمية الصحيحة في وقت لم يكن لعلم الأجنّة أي وجود، كما لم تكن المجاهر الإلكترونية ولا العادية معروفة».

وبعد أن اطَّلع العالم (تاجاس) على المزيد من آيات الإعجاز

الإلـٰهي في القرآن أعلن إسلامه ونطق بالشهادتين، ثم تبعه حشدٌ كبيرٌ من العلماء جاؤوا من كل أصقاع الأرض: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣]. نعم عرفناها وآمنَّا بالله وبأنَّه الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، وبأنَّه وحده الذي خلق السموات والأرض وما فيهن.

لقد آمنَّا وآمن أسلافنا الأقدمون بهذه الحقائق العلمية التي وردت في القرآن الكريم، فقط لأنها وردت على لسان ربّ الأرباب، آمنَّا بها دون أن ندرك ما ترمي إليه، وبقي معناها غامضاً إلى أن كشف سبحانه وتعالى حجاب الغيب عنها على أيدي علماء العصر: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [صٓ: ٨٨]، وقال سبحانه: ﴿لِكُلِّ نَبَإٍ مُسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٦٧]، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾ [النمل: ٩٣]، فسبحان الله.

أعاد العالمان (هول) و(ستيلمان) التجربة السابقة ثانية على بويضة مخصَّبة بعد الانقسام الأول، فأخذا الخليتين الناجمتين وفصلاهما عن بعضهما، ثم حقنا كلّ واحدة منهما في بويضة قردة أخرى بعد أن نزعا منهما نواتهما، ثم زرعا البويضتين الجديدتين بعد أن بلغتا مرحلة العلقة (التوتة) في رحم قردتين أخريين، فأنجبتا قردين متماثلين، كلّ منهما نسخة طبق الأصل عن أخيه التوءم، ولكنهما ليسا من الأم نفسها. وهذا بالطبع نوع جديد من الاستنساخ أسهل بكثير من استنساخ (دوللي)، ويمكن أن يُنتج عشرات الحيوانات المتماثلة في آن واحد.

بعد ذلك قام علماء آخرون بأخذ العلقة (التوتة ـ الكتلة الجرثومية)، وفصلوا خلاياها المتشابهة عن بعضها البعض، ثم زرعوا كلاً منها في بويضة قردة منزوعة النواة، فوجدوا أنَّ كلّ بويضة من هذه البويضات قد انقسمت وشكَّلت علقة جديدة. لقد زرعوا هذه العلقات في رحم العديد من القردة فأنجبن عدداً كبيراً من القردة التوائم المتشابهة في

شكلها وخواصّها، وفـي كروموسـوماتها (طابعهـا الوراثـي)، وفـي كافـة صفاتها، وكل واحدة منها نسخة طبق الأصل عن الآخرين.

فالاستنساخ الذي جاء في هذه التجربة كان جماعياً! ! لقد تمَّ للعلماء أن ينجبـوا من بويضـة واحدة مخصَّبة عدداً هائلاً من الأشقَّاء المتماثلين، رغم أن كلّ واحد منهم قد خرج من فرج مغاير، ومن أم مستعارة مختلفة عن أم الآخر. فيا للعجب! ويا لهذا الزمان!.

وبالأسلوب نفسه تمكَّن الأستراليون من استنساخ (٤٧٠) علقة من بويضة بقرة مخصَّبة واحدة فأنتجوا (٤٧٠) عجلاً، كلٌّ منها نسخة طبق الأصل عن أشقّائه الذين انحدروا من البويضة نفسها والحيوان المنوي نفسه.

لقد كان هذا العمل الأخير مذهلاً حقّاً، وإنجازاً علمياً رائعاً لا يمكن تجاهله؛ لأنَّه شكَّل دعامة كبيرة للأمن الغذائي المتهالك الذي أضحى يهدِّد شعوب الأرض والعالم الثالث بشكل خاص بالفاقة والفقر والجوع والمرض.

ولكن وعلى الـرغم من هذا الإنجاز المادي العظيـم، يبقى دور العلماء محدوداً، ولولا القدرة الإلـٰهية التي شاءت أن تكون خلايا العلقة متماثلة (غير متمايزة)، لما تسنَّى لهذه التجارب النجاح والزهوّ، وبمعنى آخر: لو حصل تمايز الخلايا (بقدرة الله ومشيئته) منذ الانقسام الأول للبويضة فلن يكون لهذا النوع من الاستنساخ أي حظٍّ في الظهور.

لقد قطع هذا النوع من الاستنساخ شوطاً كبيراً خلال وقتٍ قصير، وتطبيقه على الجنس البشري ممكن وسهل إن توفَّرت للعلماء أمهات أو سيدات متبرّعات (مستعارات)، والمسألة مسألة وقت، ليس إلاَّ، عندها ستكون الطامّة كبيرة، والله أعلم بما قد يحلُّ بالبشرية!.

بعد أن أشرقت شمس الأمل على الإنسانية من جديد عندما أنتج علماء بريطانيون (٨٠٠٠٠) جيوان مستنسخ، منهم البقر، ومنهم الغنم، ومنهم القردة والخنازير، ومنهم الأرانب والضفادع، ثم سخَّروها لخدمة الإنسان.

لقد زرعوا في البويضات المخصَّبة لهذه الحيوانات جينات بشرية مختلفة، آملين من وراء ذلك إنتاج أعضاء وأجهزة بشرية في أجسام هذه الحيوانات لينقلوها فيما بعد إلى من هم بأمسِّ الحاجة إليها من بني البشر عوضاً عن أخذ هذه الأعضاء من متبرّعين آدميين كما جرت العادة.

لمثل هذه الأهداف السامية والغايات النبيلة أوجد العلماء الهندسة الوراثية ودأبوا على تطويرها، ورصدوا لها الأموال، وكرَّسوا الجهود والعلوم والأفكار، ولكننا ومن جديد نخشى أن يحيد البعض عن هذا المسار فيستنسخوا بشراً ليكونوا قطع غيار وإكسسوارات لبشرٍ آخرين، أو ليستخدموهم كحيوانات التجربة، أو ليسخِّروهم لأغراض غير إنسانية كالإجرام والحروب والدعارة وغير ذلك.

وبالفعل فقد تمكَّن العالمان (جيري هول) و(روبرت ستيلمان) من نسخ (٤٨) علقة بشرية من بويضة مخصَّبة واحدة، ولو لم تَنْفُقْ هذه العلقات لكان بالإمكان استنساخ مئات الأشخاص منها. ولكن وكما نجح استنساخ الحيوانات بهذا الأسلوب فقد ينجح استنساخ الإنسان (إن شاء الله له أن ينجح).

ويقال بأنَّ عالمة بلجيكية تدعى (مارتين نيجيس) استنسخت عن غير قصد منها عام (١٩٦٦م) طفلاً سليماً! أي: قبل استنساخ النعجة (دوللي) بـ(١٤) سنة. لقد وردت هذه المعلومة في جريدة الصندي تايمز (Sunday Times) عدد ٩ مارس ـ آذار (١٩٧٧م)، ولكن لا أحد يدري إن

كان هذا حقاً أم شطحة علمية واهية كغيرها من الشطحات التي تظهر من حين لآخر.

كلّنا يعلم أنَّ استنساخ الإنسان أصعب بكثير من استنساخ النعاج لأسباب تقنية بحتة، وبوجود الإمكانات العلمية والتقنية في معهد روزلين المتخصِّص في هذا المجال احتاج العلماء إلى عشر سنوات من العمل الدؤوب، و(٣٠٠) محاولة ليستنسخوا (دوللي)! فكيف لهذه الطبيبة المغمورة والاختصاص ليس اختصاصها، وبدون خبرات سابقة في هذا المضمار! ومن دون التقنية بين يديها ومن دون محاولات سابقة كثيرة أو قليلة أن تمكَّنت وبطريق الخطأ أو عن غير قصدٍ منها من استنساخ الإنسان! علماً بأنَّ كافة علماء الأرض العاملين في هذا المجال قد فشلوا ولم يفلح أي منهم حتى الآن! إنّها شطحة كبيرة وفرية ما فيها مرية.

لقد قامت شركة أمريكية في نهاية التسعينيات من القرن العشرين بزرع نواة خلية جسدية مأخوذة من ساق رجل، وزرعوها في بويضة بقرة بعد نزع نواتها، فنمت البويضة وانقسمت وتشكّلت علقة بعمر (١٢) يوماً، ثم أتلفوها بأمر حكومي، ولو كُتب للجنين الحياة والاستمرار، فإنّه سيكون إنساناً عادياً، ولكنّه سيتخلَّق في رحم بقرة ويتغذّى من دمها وسيولد من فرجها!.

هناك شائعة مفادها أنَّ العلماء حقنوا بويضة فرس بنواة جسدية بشرية بعد أن نزعوا نواة البويضة، فتمخَّضت الفرس وأنتجت حصاناً برأس إنسان!.

هذا الكلام هراء وشطحة كشطحات الخيال العلمي (Science Fiction)، لأن الحمل لو تمَّ فإنه لا بد وأن يتمخَّض عن ولادة إنسان كامل، ولكن من فرج فرس، لأن البويضة الأصلية قد نُزعت نواتها ولم يعد فيها ولا كروموسوم واحد حيواني. وبإدخال نواة بشرية فيها تحتوي

على (٤٦) كروموسوماً فإنَّ الجنين الناجم سيكون إنساناً (١٠٠٪) لأن كافة كروموسوماته بشرية، وبذلك ستكون الفرس وكأنها أمٌّ مستعارة لهذا الجنين البشري! أمَّا أن يأتي المولود حصاناً برأس إنسان! فهذا كلام مرفوض تماماً (وحبل الكذب كما نعرف قصير).

وإن تمَّت هذه التجربة بتخصيب بويضة الفرس بحيوان منوي بشري، ثم تمَّ حضنُها حتى تشكَّل فيها جنين أو علقة ثم تمَّ زرعها في رحم الفرس فإنَّ النتيجة لن تكون حيواناً فيه أعضاء بشرية، ولا إنساناً برأس حصان وله ذنب كذنب الحصان، ويدبّ على أربعة كالحيوانات.

سبب ذلك أنَّ الله سبحانه وتعالى جعل لكلٍّ مخلوق عدداً معيناً من الكروموسومات في نطفه وفي بويضاته المخصَّبة، كما جعل شكل وتركيب كروموسومات المخلوقات متباينة وترتيب (الدنا) وتركيبه مختلف من حيوان لآخر؛ ولذلك لو جمعنا كروموسومات بقرة مع كروموسومات قرد فإنهما لن ينسجما ولن يندمجا ولن يحصل أي تبادل جيني بينهما، وستَنْفُقُ البويضة المعنية. قد يفلح هذا الأمر لو تمَّ بين نطف حيوانين مختلفين ولكنهما ينتميان لنفس الجنس كتزاوج الحصان مع حمارة أو نوعين من الكلاب مع بعضهما . . . وهكذا.

ولذلك وحمايةً للجنس البشري الذي اختاره سبحانه وتعالى ليكون خليفته في الأرض، جعل كروموسوماته متميِّزة ومختلفة بشكل كامل عن كروموسومات كافَّة مخلوقات الله، لذا لن تندمج كروموسومات نطفته المذكَّرة مع كروموسومات بويضة الغنم أو القردة أو الخنازير أو غيرها، كما لن يتم التبادل والانسجام والالتئام لو تمَّ إدخال نطفة حيوانية مذكَّرة إلى بويضة إنسانية. وهذه نعمة كبيرة من نِعَم الله الكثيرة علينا، ولكنهم قليلون الذين يحمدون الله ويشكرونه على نعمه علينا، والتي لا يكاد يُحصيها عدٌّ.

من الجوانب المشرقة للاستنساخ ما يقوم به عدد من العلماء الأبرار الذين كرَّسوا جهودهم وحياتهم من أجل استنساخ أعضاء بشرية ليُصار إلى تقديمها لمن هم بأمسِّ الحاجة إليها من المرضى الذين يعانون من الفشل الكلوي أو الكبدي أو فشلٍ في القلب، والذين سيموتون وبشكل أكيد إن لم يتسنَّ لهم من يتبرَّع بعضوٍ من أعضائه كإحدى الكليتين. أما القلب والكبد فلا يعيش الإنسان من دونهما، لذا لا أحد يتبرَّع بهما إلاَّ بعد انتقال روحه إلى الرفيق الأعلى.

لقد صار بالإمكان هذه الأيام زرع البنكرياس لوضع حدٍّ لمسيرة طويلة من الألم والتعاسة والشقاء لمرضى السكر المهدَّدين بالعمى والغرغرينا في الأطراف السفلية والفشل الكلوي وغيرها من مضاعفات هذا الداء الوبيل.

يبدو هذا النوع من الاستنساخ غريباً، ولكنه من الناحية النظرية ممكن، والعلماء دائبون جادّون لتحقيق هدفهم النبيل.

بعد أن يتمّ تخصيب البويضة البشرية بحيوان منويّ بشري، وبعد أن تنقسم البويضة ويصبح عمرها أسبوعين أو ثلاثة ستتمايز خلاياها، وستظهر بدايات أو براعم الأعضاء والأطراف. وبأسلوب تقني معقّد سيأخذ العلماء خلايا هذه البراعم العضوية، فيتعاملون معها من خلال تقنيتهم المتطوّرة حتى تصبح أعضاء مكتملة النمو وجاهزة للزرع في أجسام المرضى.

أمَّا من الناحية الشرعية فالجنين في هذه المرحلة يعيش حياة نباتية أي بدون روح، ولكن يبقى رأي علماء الدين ضرورياً لتقبُّل هذا النوع من زرع الأعضاء بعد استنساخها.

هناك طائفة أخرى من العلماء يحاولون استنساخ كائنات حية من

رميم الميت وعظامه. ولو تمَّ هذا الأمر كما يدَّعون فإنّه سيثبت للبشرية جمعاء بأنَّ هناك بعثاً بعد الموت، وأنَّ القيامة آتية لا محالة.

وكما كشف سبحانه وتعالى أسراراً كثيرة كانت في عالم الغيب؛ كالنطفة، والعلقة، والمضغة المخلَّقة وغير المخلَّقة وآلية الاستنساخ وغيرها كثير، ليُثبت لنا سبحانه وتعالى وجوده بالدليل العلمي والمادي، فإنه قد يكشف لعلماء الهندسة الوراثية حجاب الغيب عن إمكانية استنساخ مخلوقاته من الرميم أو مما تبقَّى من عظامهم النخرة ليؤكّد لنا سبحانه وتعالى أنَّ البعث آتٍ وأنَّ هناك حياةً وحساباً بعد الممات: ﴿ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ ﴾ [الروم: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴾ [القيامة: ٣ ـ ٤]، وقال جلَّ جلاله: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ [الإسراء: ٤٩]، ﴿ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يس: ٧٨ ـ ٧٩]، وقال سبحانه: ﴿ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [الإسراء: ٥١]، وإعادة خلق أو عمل أيِّ شيء أسهل بكثير من عمله أول مرة. ولذا يأمل العلماء أن يستنسخوا المسيح وبعض الشخصيات العالمية مثل هتلر وغير هتلر!!.

لقد زرع بعض العابثين من حثالة الأرض الذين يدَّعون العلم والحكمة ورجاحة العقل نواةَ خلايا بشرية في بويضات لقردة وخنازير ثم غرسوها في رحم تلك الحيوانات!!.

هل كان يأمل هؤلاء العابثون أن يحصلوا على قرد برأس إنسان؟ أو إنسان وله رأس خنزير؟ أو ما شابه؟ أو خنزير كريه نتن برأس حسناء فاتنة؟ كيف ستكون حصيلة هذا العبث؟ هل يرمون من وراء ذلك أن يحصلوا على خنزير يعيش في حظائر الحيوانات ويدبُّ على أربع ويأكل القاذورات ويجامع أو يجامعها أبناء جنسها رغماً عن أنفها وأنَفَتها، ولها رأس

حسناء، ووجه كأجمل ما تكون الوجوه، وتفكّر كما يفكّر الإنسان؟!.

لـو تمَّ لهؤلاء الحمقى ما يصبون إليه فإنه سيكون ظلم كبيـر لمن جعلوا منه مسخاً! وما ذنب هذا الإنسان ليعيش في حظائر الحيوانات النتنة فيعاشرهم ويعاشرونه! إنّه تحقير وإجحاف كبيران لبني آدم الذين كرَّمهم الكبير المتعال وجعلهم خليفته في الأرض. هل يرضى هؤلاء لأنفسهم وأولادهم هذا المصير وهذا الجحيم؟.

لا تستغرب يا أخي هذا الكلام الذي سيبدو للوهلة الأولى وكأنه نسج خيال حالم أو شطحات علمية بعيدة عن حيِّز التنفيذ. إنّني مثلك لا أصدّق شيئاً من هذا ولا أتوقع حدوثه بتاتاً؛ لأن الخالق الحكيم سبحانه جعل كروموسوماتنا محصَّنة ولا تتناغم مع كروموسومات أي جنس آخر حتى القريبة نسبياً من الإنسان كالقردة. فسبحان الله والحمد لله الذي فضَّلنا على كثير ممن خلقَ تفضيلاً.

وبالفعل، فقد دمج بعض علماء الهندسة الوراثية التابعين لجامعة نيويورك حيوانات منوية بشرية ببويضات قردة وخنازير وكلاب وقطط وفئران، فباءت كافة التجارب بالفشل الذريع والحمد لله. ولكني أستغرب كيف يجرؤ إنسان يحترم نفسه وجنسه، ويدَّعي الحكمة والحصافة والعلم والذكاء ورجاحة العقل، وينتمي إلى الجنس البشري السامي ـ أن يقوم بمحاولات لمسخ بني جنسه؟ وهل يرضى لنفسه ولبنيه هذا المصير؟.

ولكن أخشى ما نخشاه أن يستنسخ العلماء أعداداً كبيرة من البشر ثم يشحنوهم كالنعاج في الحافلات ليُلقى بهم كالغنم عند بوابات المستشفيات ليأخذوا من أجسامهم ما يحتاجونه من أعضاء وأطراف وقطع غيار!.

يا ترى كيف سيتعامل المستنسَخون الإخوة مع بعضهم البعض! خاصة عندما يرون المزيد من النسخ المطابقة لهم وهي تنزل إلى الأسواق

كل يوم؟ وكيف سيكون شعور أحدهم بين ذلك الحشد الكبير من المماثلين له؟ وهل سيشعر بأنه إنسان؟ أم أنه نفر في قطيع كقطيع الماشية ينتظر مصيره المحتوم؟ .

لقد خلق اللهُ كلَّ إنسان بإرادته وتقديره بشكل منفرد ومتميِّز عن بني جنسه، وصوّره كأحسن ما يكون التصوير وجعل له شكلاً خاصاً يُعرف به ويميِّزه عن الملايين من بني البشر. لقد خلقه بمعجزة من عنده، وتمّت ولادته بمعجزة إلـٰهية أسمى وأعظم من تجارب المخابر، رغم أنها تبدو بسيطة وروتينية وتلقائية.

سيشعر هؤلاء المستنسخون أنَّهم قد جاؤوا إلى الدنيا بإرادة بشرية وأنهم مسلوبو الإرادة والكرامة، لا رأي لهم ولا كيان، وليس لهم حقوق يطالبون بها، كما لا يحقّ لهم أن يفكّروا ولا أن يُبْدوا آراءهم، وسيشعرون وكأنّهم حيوانات في قطيع من المواشي تنتظر مصيرها.

قد يسمح الطبُّ لإنسان أن يستنسخ إنساناً يخصُّه وحده فيكون مُلكاً له، فيتصرَّف به وبأعضائه كيف يشاء ويأخذ منها ما يلزمه إن فشل لديه عضو من أعضائه! .

هذا الأمر قد يحدث في المستقبل القريب أو البعيد، ولكن هل فكَّر العلماء كيف سيكون تفكير المستنسخ؟ وما هو شعوره؟ وهل ضمنوا موافقته على أخذ أعضاء منه؟ أم أنه لا يحقّ له الرفض لكونه مجرّد تابع لسيده الذي استنسخه؟! .

لقد جعل الله الخالق الحكيم لكلّ إنسان أبدعه سماتٍ خاصةً به وسلوكاً وأخلاقاً وفضائل تميِّزه عن باقي بني جنسه، فلماذا نعبث بهذا الخلق الكريم ونجلب إلى الدنيا أناساً بصفات اخترناها نحن لهم من خلال اختيار خلايا من متبرّع أعجبتْنا صفاته! وهل أُخذ رأي المستنسخ

بشأن هذه الصفات؟ إنَّه عبث أخرقُ بخلق الله. لذلك أجمع العلماء على تحريم الاستنساخ لأنّ فيه خرقاً كبيراً ومجحفاً لدستور الله سبحانه وتعالى في خلقه.

وإذا عمَّ الاستنساخ في المستقبل وانتشر فإنَّ كثيراً من السيدات سيستنسخنَ مَنْ شئنَ ومتى شئن من دون صلةِ زواجٍ ومن دون أن يلمسهنَّ بشر، وستختار المرأة من الرجال من يتمتَّعون بصفات محبَّبة عندها كالذكاء أو النجاح أو الجمال أو قوة البنيان أو غير ذلك، تماماً كما خطَّط النازي هتلر عندما زاوج بين أجمل نساء ألمانية وأذكى وأقوى وأفضل رجالاتها ليحصل على عرقٍ آري نقيّ، ثم يقضي على الشوائب وأصحاب العاهات والأمراض. وبالفعل فقد قتل هذا السفاح المغرور (٥٠٠٠٠) من المرضى المشوَّهين، كما قتل مئات الآلاف من أصحاب الأصول العرقية غير الألمانية.

فلو أصبح المجتمع كلّه على النحو الذي يريده هتلر سادة وعباقرة وأذكياء لامعين! فمن سيقوم بخدمتهم؟ ومن سيضرب الأرض ويرعى الماشية ويوفّر الغذاء وقوت العباد؟ ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ [الزخرف: ٣٢] فانظر يا أخي إلى عَظَمة تدبير الله ومدى حكمته سبحانه.

إذا سألنا المستنسخين عن أسلوب مجيئهم إلى هذه الحياة الدنيا، فهل سيكونون راضين عن ذلك؟ وإن سألناهم عن رأيهم في البويضات الكثيرة المماثلة للبويضة، أو البويضات التي انحدروا منها والتي تمَّ حفظها مجمَّدة في المخابر ليُصار إلى زرعها في أرحام مستعارة في المستقبل، فماذا سيكون الجواب؟.

وإذا لم تشأ صاحبة البويضات أن تزرع هذه البويضات المخصَّبة

والمجمَّدة، فهل يحقّ لها أن تتخلَّص منها؟ أليست قابلة للتحوُّل إلى جنين لو أُعطيت الفرصة؟ أليس التخلُّص منها كالقتل المتعمَّد؟ ألا يشبه الوضع الإجهاض الذي حرَّمته الديانات السماوية، أم ماذا؟.

لقد أجاز بعض علماء الطب المتخصِّصين بالعقم أن يستعين الذي ضاقت عليه السبل وفشلت معه كل الوسائل العلاجية المتوفرة، خاصة إذا كانت خصيتاه مشوّهتين ولا تنتجان النطاف، أجازوا له أن يستنسخ ابناً له بأسلوب استنساخ النعجة (دوللي)، أي بزرع نواة خلية من خلايا جسمه مكان نواة بويضة زوجته.

سيبتهج كل عقيم لهذا الحلّ؛ لأنه سيحصل على ابن يملأ عليه حياته، ويحمل اسمه من بعده، ويخلِّصه من دوامة السعي بين العيادات والمخابر ودور الأشعة وغرف العمليات بحثاً عن وسيلة وأمل.

لقد غفل هؤلاء وأطباؤهم حقيقةً مهمة ومؤلمة، وهي أنّ المولود المستنسخ سيكون نسخه طبق الأصل عن والده في كلّ شيء وفي عقمه، وبذلك لن تنتهي محنة هذه الأسرة، بل ازدادت عقماً على عقم، خاصة إن استنسخ الأب العديد من الأولاد، مَثَلُه في ذلك كمَثَلِ من أراد أن يكحِّل عيناً ففقأها!.

على العقيم أن يعلم علم اليقين أنَّ هذه مشيئة الله تعالى وإرادته، وله سبحانه وتعالى في كلِّ شيء حكمة، والحكمة تقتضي أن نستسلم لقضاء الله وقَدَره، وأن نقبل الوضع ونرضى ونرضخ ونستكين، وللصابر على محنته أجرٌ كبير: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩ ـ ٥٠].

ما ذنب الابن المستنسخ ليكون عقيماً هو الآخر؟ ولماذا عليه أن

يكون تعيساً مكتئباً رغماً عنه؟ ولماذا جيء به إلى الدنيا بإرادة والده؟ ولماذا عليه أن يحمل صفات والده وأمراضه الوراثية كلها؟ ولماذا لا يكون له صفات خاصة به وكيان خاص يميِّزه عن والده؟ لماذا يكون تابعاً لشخص ما؟ ولماذا عليه أن يأتي إلى الدنيا بعمر والده الحيوي وهو الذي يجب أن يكون في ربيع عمره؟ وهذا بالضبط الذي حصل للنعجة (دوللي) التي سرعان ما لحقت بعمر والدتها صاحبة النواة (الكروموسومات) فشاخت وهي لا زالت حديثة العمر!!.

كما هو معروف تشيخ الكروموسومات البشرية بالتدريج البطيء مع دوران عجلة الزمن، فتبدو تحت المجهر الإلكتروني بعد وشمها بالمواد المشعّة وكأنها مهترئة؛ لأنها تفقد بالتدريج وباستمرار بعضاً من قواعدها النتروجينية والأحماض النووية. ولكن هذا النقص لن يسبِّب أيَّ مرض مفاجئ لأن الكروموسومات طويلة جداً ـ طول الواحد منها متران ـ وهي تحتوي على مليارات القواعد النتروجينية والأحماض النووية، لذا فإنَّ فقدان القليل منها بين الفينة والأخرى لن يرسم على العضوية ككلّ علامات تذكر ولن تسبِّب أمراضاً مفاجئة أو ملحوظة. ولكن الشيخوخة تترافق على الدوام بأمراض تنكسية جمَّة كتصلّب الشرايين وتضيُّق شرايين القلب الإكليلية التي تسبب ذبحة صدرية، كما يرتفع الضغط، وتقلُّ قدرات الدماغ العقلية وقدرات الجسم الجسدية، وغير ذلك الكثير من التغيّرات التي تلازم الشيخوخة.

فإذا استخدمنا هذه الكروموسومات العجوز في استنساخ إنسان فإنَّه سيكون عجوزاً أيضاً! لذلك أضحت النعجة (دوللي) عجوزاً بعد سنتين من ولادتها، وبهذا لن يمر المستنسخ بكافة مراحل العمر، وسيصبح عجوزاً واهناً ومريضاً وهو لا يزال دون العاشرة من عمره. وهذا وحده ظلم ما بعده ظلم! فما ذنب هذا الإنسان أن لا يعيش صباه وشبابه ورجولته!؟

ولو خيَّرناه لاختار أن يُخلق كباقي الناس، لا بالاستنساخ!.

في استطلاع للرأي أُجري في كافة أرجاء الأرض تبيَّن أنَّ الغالبية العظمى من الناس يفضِّلون إنجاب الذكور على الإناث، فإذا تسنَّى لهم أن ينجبوا ما شاؤوا بطريقة الاستنساخ (فرضاً)؛ فإنّهم سيخلّون بالتوازن الاجتماعي وسيزداد عدد الذكور بالنسبة للإناث ازدياداً فاحشاً حتى تصبح المرأة عنصراً نادراً تقتتل الرجال وتتصارع من أجل اقتنائها، فتُعاد بذلك قصة (قابيل وهابيل) لتُمثَّل على أرض الواقع بعد آلاف السنين. فتأمَّل في حكمة الله وتدبيره.

وإذا استنسخت سيدة من السيدات ابناً لها من والدها الذي تُكِنُّ له المحبة والوقار والاحترام، فهل ستتعامل مع هذا الابن على أنه والدها؟ أم ابنها؟ أم أخوها؟ أم ماذا؟ وهل سيكون المستنسَخ ابناً للمستنسَخ منه أم أخاه أم حفيده؟ أم هي صلة قربى عصرية تمخَّضت عن تقنية العصر؟! وكيف سيعامل المولود زوج أمه؟ وهل سيعتبره والده أم ماذا سيكون بالنسبة إليه؟ علماً بأنّه لا يحمل في جسمه جيناً واحداً من زوج والدته!. أين هذا من حكمة الله وتدبيره لشؤون خلقه؟.

وإذا نسخ رجلٌ متيَّمٌ بحبِّ امرأة ابنة له لتكون نسخة طبق الأصل عنها! فهل سيعتبر البنت بعد أن تشبَّ ابنةً له، أم سيتّخذها زوجة إلى جانب زوجته؟ إنها في واقع الأمر ليست ابنته ولا تحمل في خلاياها شيئاً من كروموسوماته لأنه لم يشارك في إخصاب البويضة التي تخلَّقت منها!! فهل يجوز له أن يواقعها؟.

وبالعكس إذا استنسخت سيدة ابناً لها من نواة خلية من خلايا زوجها ليكون نسخة طبق الأصل عنه! فكيف ستتعامل معه عندما يصبح رجلاً كزوجها؟ وكيف سيكون موقف زوجها عندئذٍ؟ إنَّه في واقع الأمر

ابنها وليس بابنها! ابنها لأنه تخلَّق في أحشائها وخرج من فرجها، ولكنه في الوقت ذاته لا يحمل أياً من كروموسوماتها في جسمه، أي أنّه ليس بابنها! وهل ستتعامل معه كزوج لها باعتبار كروموسوماته نسخة طبق الأصل عن كروموسومات زوجها، وشكله وطوله وكافة صفاته نسخة طبق الأصل عنه! فهل يجوز لها شرعاً أن تعاشره؟! أم ماذا؟ الجواب بحاجة إلى مجلس فقهي رفيع ليبتَّ فيه.

وإن كان لدى الزوجة بنات، فهل هنَّ أخواته؟ أم أنه بمثابة أو بموقع والدهنّ؟! أم ماذا؟ إنها صلات قربى عصرية جداًا!. وإن كان للأم أخت صغيرة وجميلة فأحبَّها، فهل يجوز له أن يقترن بها؟! وعمَّاته (أخوات المستنسخ منه) هل هنَّ حقاً عماته فلا يجزن له أم أخواته؟ أم ماذا؟ وكيف عليه أن يتعامل معهنّ؟.

وإذا استنسخ رجل ابنة له من امرأة جميلة كان يحبّها ففقدها فإنها ستكون نسخة طبق الأصل عن العشيقة الراحلة، فهل يجوز له أن يتزوّجها أم أنها تعتبر ابنته لكونها خرجت من رحم زوجته؟ علماً بأنها لا تحمل شيئاً لا من كروموسومات الزوج ولا زوجته!!.

إنَّ الأمثلةَ على التهريف المتوقَّع كثيرة وكثيرة جداً، ولن أسترسل في الحديث عنها لأنها ما زالت في عالم الخيال، ولكن إن ذهب العاملون في الهندسة الوراثية بعيداً في شَطَطِهم فإنَّ كلَّ ما نخشاه سيقع، وستنهار القيم وتضطرب العلاقات الأسرية التي نظمها سبحانه وتعالى أحسن تنظيم، ولا أحد غير الله يعلم ما ستؤول إليه أحوال العباد!!.

من خلال هذا البحث رأينا مدى الحكمة الإلـٰهية في جعلنا نتكاثر بالتزاوج حسب شريعة الله وسنة رسوله الكريم. كما ندرك من خلاله السبب الذي من أجله جعل سبحانه وتعالى جينات الاستنساخ في خلايا

أجسامنا متنحية ومقهورة، فسبحان ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴾ [السجدة: ٧] كما يتأكد لكلّ صاحب قلب وبصيرة ولكلّ متأمّل أنَّ هذا الخلق لم يكن نتيجة خبطة عشواء للطبيعة ولا محض مصادفة بلهاء، بل هو خلق بالغ الدقّة والتقدير والتعقيد: ﴿ صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ ﴾ [النمل: ٨٨]، نعم ﴿ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ﴾ [يونس: ٥]، فليخسأ الماديون، ولتخنس طوائف الملحدين بمذاهبهم وفلسفاتهم وترهاتهم.

من خلال ما قرأناه سويةً عن قصة الاستنساخ نجد أنَّ هذا العلم بما احتواه من أعمال وتجارب لم ولن يمسَّ الذات الإلـٰهية العليا أبداً، وليس فيـه أيُّ تحدٍّ لا من قريـب ولا من بعيد لجبروت الله وعظمته، ولا أدنى مضاهات لعلومه سبحانه ولا لقدراته ولا لإبداعه المذهل، خاصة وأنهم لم ولن يتمكَّنوا من تصنيع الأحماض النووية (الدنا والرنا)، ولا القواعد النتروجينية التي اعتبرها العلماء سرّ الحياة، والتي تحمل شيفرة الخلق وسماته وكافة الوظائف العضوية والفكرية التي يقوم بها، وبالتالي فإنّهم لم ولن يتمكّنوا من خلق أي شيء حيٍّ مهما كان هذا الشيء بسيطاً. وهذا ما أعلنه علماء الأرض برُمَّتهم وبصراحة وبصوت عالٍ: «الخلق كلُّ الخلق لله وحده، والمادة الحية لا تأتي إلاَّ من الحياة، ومن خلال التناسل».

وكما قرأنا في هذا الكتيِّب فقد انحصرت نشاطات علماء الهندسة الوراثية وتقنياتهم في تغيير نواة البويضة الحيوانية المخصَّبة بنواة أخرى مأخوذة من خلية جسدية عادية. هذه المواد التي استخدموها في تجاربهم كلّها حيّـة ومن صنع الله وإبداعـه، وليس فيها ما أنتجوه بأيديهم أو في مخابرهم. لقد انحصر اهتمامهـم وعلمهـم وإمكانياتهـم وتقنيتهـم في تحريض جينات الاستنساخ المتنحية أو المقهورة التي أودعها الحكيم العليم في الكروموسومات الحية منذ أن خلق آدم عليه السلام.

لقد شاءت حكمته سبحانه وتعالى أن يوجد هذه الجينات، وكان بمقدوره جلَّ جلاله أن يُلغيها أو لا يخلقها أبداً، ولو أنه سبحانه لم يوجدها من الأزل لما قامت للاستنساخ قائمة! لذا فالاستنساخ مقدَّر من الله سبحانه وتعالى ومكتوب، وقد كشف سبحانه وتعالى للعلماء حجاب الغيب عنه ليريهم وليري أولي الألباب من الناس الذين يتفكَّرون على الدوام في خلق الله، ليريهم طلاقة قدرته سبحانه وتعالى وعظيم خلقه وإعجازه، فيؤمنوا به إيماناً يقينياً راسخاً في عصر انقطعت فيه رسالات السماء، وتوقف الوحي والتنزيل وما رافقهما من معجزات إلـٰهية تهدي إلى الحق وإلى الصراط المستقيم، وتثبت للعالمين وجود الله العلي القدير: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت: ٥٣].

وبذلك صار بإمكان كل ذي عقل أن يقول بأنَّ الاستنساخ قبسٌ من نور الله وعلمه، ودليل علمي ومادي يؤكد وجوده سبحانه وتعالى، كما يؤكد أنه وحده خالق ومبدع الإنسان والحيوان والنبات والكون بكل ما يزخر به من أجرام ومخلوقات. ولكن رغم أنّ الاستنساخ مقدَّر من الله سبحانه وموجود ومكتوب من الأزل، إلاَّ أنَّ الله جلَّ جلاله لم يختره لنا وسيلةً للتكاثر والبقاء؛ لصعوبته ولاعتماده على تقنية معقَّدة جداً لم تكن لتتوفر لأجدادنا الأوائل الذين كانوا بسطاء، وقدراتهم محدودة ومحدودة جداً. ولذلك جعل سبحانه وتعالى الجينات المسؤولة عن هذا النوع من التكاثر مقهورة ومتنحية. كما لم يشأ العليم الحكيم أن نتكاثر بالاستنساخ لئلا تتفكك الروابط الأسرية، وتضيع الأنساب، وتختلّ العلاقات الاجتماعية التي نظمتها شرائع السماء. كما شاءت حكمته سبحانه وتعالى من جعل جينات الاستنساخ مقهورة ليحافظ على كرامة الإنسان ومكانته التي ميَّزه بها عن كافة مخلوقاته وجعله خليفته في الأرض، لقد حال

سبحانه وتعالى دون استغلال الإنسان، فلا تؤخذ أعضاؤه ولا يحفظ كقطع غيار بشرية. كما لم تشأ حكمته سبحانه وتعالى أن يجيء المستنسخ بكروموسومات هرمة، فيصبح خألال بضع سنوات من عمر الذي استنسخه؛ فتشيخ كروموسوماته وأعضاؤه ويتحوَّل إلى عجوز ذابل من دون أن يمرّ بمرحلة الصِّبا والشباب فالرجولة وما يصاحبها من تغيّرات ومنجزات ودراسات وتطور علمي وفكري وذكريات وغير ذلك. كما جعل سبحانه وتعالى جينات الاستنساخ مقهورة ليكون الخلق كل الخلق بإرادة الله وحده بعيدين عن إرادة وعبث العابثين.

لقد سنَّ لنا سبحانه وتعالى الزواج، وغرس في نفوسنا غريزة الجنس، وجعل بين الزوجين مودةً ورحمةً وتواصلاً ومتعةً؛ ليلتقيا على سنّة الله ورسوله، فيعملا بما توفّر في جسميهما من أسباب ليحافظا على الجنس البشري ما شاء الله له من زمان. أمَّا زرع البويضات المخصَّبة خارج الجسم ليتم الحمل بطريقة الاستنساخ فإنه يترافق بآلام مبرحة في الفرج والمَهْبَل والرحم، وقد يُضطر الجرَّاح إلى إعطاء المرأة مُسكِّناً ليتمّ له إنجاز ما شرِع به، فشتَّان بين البهجة والمتعة في الاتّصال بين الزوجين وبين الألم الذي يسببه الاستنساخ.

هذا ومن ناحية أخرى فإنَّ فرصة نجاح الاستنساخ لا تزيد عن (٣٪) بين الحيوانات في المعاهد المتخصّصة، أمَّا لدى الإنسان فإنَّ نسبة نجاح الاستنساخ أقلُّ بكثير، ناهيك عن تكلفة هذا العمل الباهظة!.

كما لم يختر سبحانه وتعالى هذا الأسلوب من التكاثر؛ لأن المستنسَخ المسكين سيحمل كافة الأمراض الوراثية التي يحملها صاحب النواة في كروموسوماته، وفي هذا ظلم ما بعده ظلم.

وفي استطلاع للرأي أجرَته مجلة التايم (Time Magazine Poll) في

مارس ـ آذار (١٩٩٧م) تبيَّن أنَّ «(٧٤٪) من الناس أنكروا الاستنساخ واعتبروه ضدّ إرادة الله وشريعته وأسلوبه في خلقه»، وهذا يكفي لإدانته ومعاداته.

لقد أنكرته كافة المجموعات الإسلامية الفقهية وعلى رأسهم الأزهر الشريف، كما اعتبره الفاتيكان تحدّياً لعَظَمة الله وخرقاً لدستوره في خلقه فحرَّمه ونصح بعدم ممارسته. كما عارضته معظم الحكومات في أنحاء الأرض، ومنعوا علماءهم من هذا العبث الأخرق. أمَّا الرئيس الأمريكي كلينتون فقد منع الإنفاق على هذه التجارب من خزينة الدولة، وأمر بعدم الاستمرار بما شرع به علماء الهندسة الوراثية من عبث أخرق.

أمَّا مجلس العموم البريطاني ـ الذي شرع منذ سنين الشذوذ الجنسي على أن لا يتم داخل مبنى المجلس ـ فقد وافق على الاستنساخ، ولكنه فوجئ باستنكار شديد من كافة دول المجموعة الأوروبية.

* * *

الخلق كل الخلق لله وحده

لقد يئس الماديون والملحدون وعلماء الأحياء والكيمياء الحيوية ومعهم علماء الطب من الوصول إلى جوهر الروح، ومعرفة مكوّناتها ومكانها في الجسم، وبقيت من أمر الله وسرّاً من أسراره حيَّر العلماء على مرِّ الزمان.

قال العالم (إنجلز) ـ وهو أحد أركان المذهب الماركسي المتهالك ـ في كتابه (أنتي دوهزينغ) بأنَّ علماء الطبيعة قد فشلوا في إنتاج كائنات حيَّة من مكوِّناتها العضوية المعروفة. فقد صنع أحدهم بيضة دجاج فرعاها وحضنها في ظروف مماثلة للبيضة الطبيعية فلم يتخلَّق منها جنين، وباءت المحاولة بالفشل، كان السبب أنه لم يتمكَّن من نفخ الروح فيها.

تلا هذه المحاولة محاولات أخرى كثيرة باءت جميعها بالفشل والخذلان. بعدها فقط أعلن العلماء بأنَّ الحياة لا تكون بدون تناسل الكائنات الحية. وهذا يعني أنَّ المادة لا تولِّد المادة ولا كائنات حية! وهذا يناقض أساس وجوهر مذهبهم المادي الملحد المتخاذل الذي جعل من الطبيعة آلهة واعتبرها المبدع لكلِّ شيء من خلال الخلق الذاتي والتطوّر وبقاء الأصلح، وأنكروا وجود الله جلَّ جلاله ودوره في خلق السموات والأرض وما فيهن. لقد ناقضت تجاربهم وأبحاثهم وأسلوبهم العلمي التجريبي جوهر مبادئهم وفلسفاتهم ومعتقداتهم وأُسُسها، وبدون أن يدروا أثبتت دراساتهم أنّ أصل الحياة في الأرض كان خلقاً مقدَّراً من الله سبحانه وتعالى، أي أنهم ومن غير قصد منهم نسفوا أركان فلسفاتهم الملحدة نسفاً تاماً.

بعد ذلك قام عدد كبير من علماء الأرض بدراسات كثيرة متباينة، درسوا من خلالها التغيُّرات التي تطرأ على أخلاط الجسم كالدم وغيره، وعلى هواء الرئتين وغازات الدم، وراحوا يرصدون التغيُّرات التي يرسمها تخطيط القلب الكهربي المستمر في أجهزة المراقبة المستمرة (المونيتورز) لدى المرضى أثناء سَكَرَات الموت؛ علّهم يصلون إلى سرٍّ الحياة وجوهر الروح، أو معرفة أي شيء عنها، ولكنهم عبثاً حاولوا ويحاولون، وستبقى الروح وسر الحياة من أمر الله وسرّاً من أسراره، تنطق بوجوده وعَظَمته وعلومه جلَّ جلاله، وبذلك بقيت الروح ـ وستبقى أبد الدهر ـ دليلاً عقلياً يسبِّح بحمد الله ويؤكِّد وجوده: ﴿ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [الإسراء: ٨٥].

كما تُثبت هذه الوقائع أنَّ ما يدركه العلماء أو ما يكتشفون وجوده لم ولن يكون إلاَّ بإرادته سبحانه ولحكمة في نفسه جلَّ جلاله: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وفي المؤتمر العلمي الذي عقده جهابذة علماء الطبيعة والبيولوجيا في نيويورك (١٩٥٩م) ليتداولوا ويتباحثوا فيما بينهم في نتائج دراساتهم وأبحاثهم في مجال الخلق، وفي إنتاج كائنات حية من مكوِّناتها الأصلية، فوجئوا بأنَّ أحداً منهم لم يتوصَّل لشيء، وأنَّ كافة تجاربهم فشلت فشلاً ذريعاً. لقد خَلَصوا في ذلك المؤتمر إلى حقيقة مفادها أنَّ أصل الحياة لا زال سرّاً من أسرار الطبيعة، ونحن المسلمين نصحِّح لهم هذه العبارة فنقول: بأنَّ أصل الحياة لا زال سرّاً كبيراً من أسرار الخالق سبحانه وتعالى.

كما أعلنوا في ذلك المؤتمر أنّهم لم يعرفوا شيئاً عن طبيعة الروح، وقالوا بأنّها لا تتركَّب من مواد عضوية ولا كيميائية، وأنها ليست تفاعلات ولا ظواهر كيميائية ولا فيزيائية ولا فيزيولوجية، وأنها لا يمكن رصدُها

في الجسم البشري. بعد ذلك امَّحت الفكرة التي كانت في مخيِّلة وعقول العلماء بأنَّ الحياة أو الروح مجرَّد تفاعلات كيميائية تقوم بها خلايا الجسم خاصة في الأعضاء النبيلة كالقلب والدماغ والكبد والكليتين والرئتين.

ولكنَّهم ورغم بطلان دعواهم لا زالوا مُصِرِّين على أنَّ المخلوقات، بل الكون بأكمله قد تشكَّل بشكل عفوي تلقائي وبطريق المصادفة، ثم طوّر نفسه بنفسه حتى صار على ما هو عليه من العَظَمة والدقّة والكمال، وهم يحاولـون وعلى الدوام إنكـار وجـود الله بأسلوبهم الدياليكتيكي ـ الجدلي. من جملة ما قالوه عنه سبحانه: إنَّه ما دام جلالتـه غير ملمـوس وغير مرئي ولم يخضع لأبحاثهم وتجاربهم، فإنَّهم لن يعترفوا بوجوده! قاتلهم الله... كيف يُخضعونه لتجاربهم وقد وَسِعَ كُرسيُّه السموات والأرض!. إنَّ قُدرات البشر الجسدية وقدرات أعينهم أضعف من أن تصل إلى الله وأن تراه: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

ادَّعى الماركسيون والماديون والداروينيون بأنَّ الكون بعد الانفجار الكبير (Big Bang) كان عبارة عن ذرّات هيدروجين منتشرة في كلِّ مكان، ثم راح الهيدروجين يرتبط ببعضه فأعطى عناصر جديدة، ومن ثم مركبات كيميائية وعضوية، تمخَّض لاحقـاً عنها نشـاط إنزيمي حيـوي. قامت الأخيرة بتحريضٍ من عوامل الطبيعة فشكَّلت كائناتٍ حيةً دقيقةً كالجراثيم والفيروسات والطحالـب التي اتَّحـدت ببعضها البعض فشكَّلت حيوانـاً بدائياً صغيراً جداً ومتعدِّد الخلايا أطلقوا عليه اسم الميتازون (Metazon)، الذي تطوَّر بالتدريج على مدار السنين فأعطى الرخويات المائية والأسماك فالديدان والبرمائيات والزواحف، ثم تطوّرت الأخيرة بفعل عـوامل الطبيعة فأعطت الحيوانات الثديّة بما فيها القردة التي تطوَّرت إلى إنسان.

لقـد تبنَّـى الملحـدون والمـاديّـون هـذه الفـرضيـات والتُّـرهـات

والشطحات العلمية، لأنها ناسبت أهواءهم وفلسفاتهم، وبُعْدَهم عن الله وكفرهم بـه، وإنكارهم لوجوده سبحانه وتعالى. لقد اعتمـدوا هـذه الفرضيـات رغم أنَّها قائمة على الظـن والتخميـن من دون أدلَّـة علميـة ولا مستحاثات تؤيّد ذلك! ويقول العلم الصحيح: بأنَّ الجماد خامل وعاجز على الإبداع، ولا يتحرَّك إلاَّ إذا حرَّكَتْه يدُ الإنسان أو قوة خارجية. وبما أنه يميل إلى التراجع أو إلى الانحلال والتفكُّك حتى يستقرّ فإنَّ تركيبه قد يتراجع كاليورانيوم الذي يتحوَّل إلى رصاص، ولكنَّـه لا يصبح أكثـر تعقيداً.

لقد ورد في مجلة المكتشفات (Discovery) في عددها الصادر في مايو ـ أيار (١٩٦٢م) ما مفاده: «لقد أثبت العلم الحديث بما لا يدع مجالاً للشكّ أنَّ العناصر المعدنية ميَّالةٌ للتجرُّد والاستقرار، وهي لسوء حظّ الماديين والماركسيين والداروينيين عاجزة كلّ العجز عن توليد حالة من اللااستقرار الكيميائي التي تتَّسم بها الكائنات الحية، لذا صار مؤكَّداً استحالة تحويل المواد الجامدة إلى أخرى حيّة بشكل عفوي أو بمحض مصادفة بلهاء».

وإذا لجـأنـا إلـى الأسلـوب التجـريبـي الـذي اعتمـده الملحـدون والماديون فوضعنا ما شئنا من الفحم والماء والهيدروجين والأوكسجين في وعاء وعرَّضناهم لشتَّى عوامل الطبيعة واصطبرنا عليهم سنين طويلة فإنَّها لن تتحوَّل إلى سكّر بشكل تلقائي. فكما يستحيل تكوُّن السكر من مكوِّناته ذاتياً، فإنَّه من المستحيل أن تنشأ باقي المواد العضوية من نفسها تلقائياً، كما يستحيل تطوّر هذه المواد إلى أخرى عضوية أكثر تعقيداً كالبروتينات والإنزيمات والأحماض النووية (كالدنا)، علماً بأنَّ علماء الإلحاد وعلماء الهندسة الوراثية فشلوا في تحضير مواد حيّة من مكوّناتها الأصلية. وبالأسلوب نفسه يتعذَّر، بل ومـن المسـتحيل أن تتشـكَّل

الجراثيم والفطريات والفيروسات تلقائياً من العناصر التي تدخل في تركيبها. ثم كيف للجراثيم والفيروسات وهي كائنات عدائية وقاتلة أن تتحوَّل إلى حيوان أو إنسان أو أسماك أو حشرات أو طيور أو غيرها من مخلوقات الله التي لا تُعدُّ ولا تُحصى، علماً بأنَّ الجراثيم والفيروسات مخلوقات عدائية تفتك بكافة الكائنات الحية حتى القوية والكبيرة منها؛ كالإنسان والحصان والمواشي وغيرها، فكيف بقي الحيوان البدائي الصغير غير المتطوّر، أي الذي لا يملك أجهزة في جسمه متخصِّصة بالمقاومة والمناعة، بقي حياً وفشلت الفيروسات والجراثيم القاتلة في قتله، علماً بأنَّه لم يتعلَّم الطب ولم يكن لديه مضادات حيوية آنذاك!.

لقد جرَّب العلماء وجرَّبوا سنين طويلة ليقولوا في نهاية المطاف: «لا حياة من جماد»، وبقي سرُّ الخلق والحياة مجهولاً، ولكنَّهم أو بعضاً منهم مكابرون وعنيدون، وهم من أعماق أنفسهم ووجدانهم وضمائرهم على يقين تام بأنَّ الخلق كلَّ الخلق لله وحده لا شريك له: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال سبحانه رَدّاً على تُرَّهات هؤلاء المارقين: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، بعد أن أبدع سبحانه وتعالى السموات والأرض وهيَّأ الأرض لتصبح كوكباً حيّاً ومناسباً للحياة عليه، خلق سبحانه آدم وحواء في السماء بيديه ثم أنزله إلى الأرض وجعله وبنيه خليفته فيها: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [صٓ: ٧١ ـ ٧٢].

لقد أحسن سبحانه وتعالى كلَّ شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من

طين، وجعل له السمع والبصر والفؤاد والدماغ. لقد كان دماغ الإنسان على درجة عظيمة من الدقّة والإعجاز والإبداع فتميّز به عن مخلوقات الله كافة: ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [السجدة: ٧ـ٩].

نعم لقد كان خلق الإنسان منذ البداية على هذا النحو الرائع من الروعة والكمال، ولم يكن حصيلة تطوّر من حيوانات دنيا. لقد أكَّد العلم الحديث أنَّ ظهور الإنسان على سطح الأرض كان مفاجئاً كأيّ انفجار مفاجئ، أو كأيّ فطر ظهر بشكل سريع مفاجئ.

نعم لقد خلق الله آدم بيديه على النحو الرائع الذي هو عليه الإنسان الآن، ثم أنزله إلى الأرض لأنَّ مشيئته سبحانه كانت على هذا النحو: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [البقرة: ٣٨ـ٣٩].

وهكذا أُنزل آدم وحواء ومعهما إبليس عدوّ الإنسان الأزلي إلى الأرض ليكونوا من المكلَّفين.

يتبجَّح الملحدون والماديون ويتشدَّقون بمقولتهم القديمة المتكرِّرة: «إننا لا نؤمن بأيِّ شيء إلاّ إذا شاهدناه ولمسناه وتعاملنا معه وأخضعناه لتجاربنا» قاتلهم الله أنَّى يؤفكون.

وما دام هذا حالهم ومبدؤهم المادي الملحد، فإنّي أسألهم: هل رأيتم الانفجار الكبير الذي حدث قبل (١٥) مليار سنة؟! وهل شاهدتم ذرّات الهيدروجين وهي تتّحد ببعضها وتتحوّل إلى مواد عضوية بدائية؟ وهل شاهدتم الجراثيم والفيروسات ومن ثمَّ الحيوان البدائي (الميتازون)؟

وهل عاصرتم وشاهدتم الميتازون وهو يتحوَّل إلى رَخَويَّات وأسماك وبرمائيات وثديات؟! وهل شاهدتم قردة تتحـوَّل إلى إنســان والقردة كُثر؟!.

لقد جحدوا وجود الله لأنَّهم لم يروه، ولأنَّه سبحانه وتعالى لم يقدِّم نفسه إليهم ولم يخضع لتجاربهم! ولكنَّهم لم يجحدوا فرضيات داروين عن النشوء الذاتي والتطوّر وبقاء الأصلح رغم أنَّهم لم يعاصروا شيئاً منها، ولم يلمسوها، ولم يروها في مستحاثات الأرض التي اعتمدوا عليها في تفكيرهم وفرضياتهم، وسلسلة التطوّر التي يدعونها مليئة بالفجوات الكبيرة التي قدَّرها العلماء بملايين السنين. ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٥].

لقد استكبروا في أنفسهم وعَتَوا عتوّاً كبيراً. لقد ظنّوا أنَّهم بمكرهم ودهائهم سيطمسون الحقائق ويغيّرونها، وأنَّهم قادرون على إطفاء نور الله ونزع شرائعه وفطرته من قلوب الناس: ﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٢٣].

لقد شيّد الداروينيون والملحدون والصهيونية العالمية والماديون والماركسيون صرحاً كبيراً من الزيف والتزوير، واعتمدوا التدليس والتشكيك والافتراء على الله، ثم زخرفوا هذا الصرح بفلسفاتهم المادية الملحدة، فجاء بنيانهم كبنيان من الثلج واهن وضعيف، كالذي تصنعه أيدي أطفال عابثين، فما أن بزغت شمس الحقيقة حتى خرَّ ذاك الصرح الحقير وذاب وتلاشى، وصار أثراً بعد عين.

لقد بزغت شمس الحقيقة عندما ظهرت إلى عالم الوجود الهندسة الوراثية التي أثبتت وبشكل قاطع لا نقاش فيه أبداً بأنَّ في كلّ مخلوق عدداً

معيناً من الكروموسومات التي تحمل شيفرة الخلق، وفيها جينات وإنزيمات وبروتينات متخصِّصة مهمّتها المحافظة على الجنس من أي تغيير عبر العصور، وخلال الانقسامات المتتالية التي تحدث أثناء تخلُّق الأجنَّة في أرحام أمهاتها. لقد رَمَت الهندسة الوراثية بفرضيات داروين في متحف الشطحات العلمية، فأضحت نصوصاً هزيلةً مهترئةً وفرضيات بعيدة كلّ البعد عن الحقيقة والعلم.

لقد كان حظ داروين وأتباعه من الماركسيين والماديين عاثراً؛ إذ لم تكن الهندسة الوراثية قد ظهرت بَعْدُ إلى عالم الوجود في أيامهم!.

لقد روى لنا سبحانه وتعالى قصة خلقه لآدم عليه السلام التي تمّت في السماء فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾ [الحجر: ٢٨-٢٩].

يقول العالم الفيزيولوجي تاميسيان (Tamisian) عضو اللجنة المركزية للطاقة النووية الأمريكية: «إنَّ الذين يؤكّدون أنَّ النشوء الذاتي للخلق ومن ثَمَّ التطوّر واقع علمي، ما هم إلاَّ حالمون واهمون منافقون ومضلِّلون، وأنَّ ما يروونه من أحداث ويذيعونه من أقوال ليست إلاَّ شعوذات وحَذْلَقَة كلامٍ وخداعٍ للناس وتلاعب بالألفاظ، أرادوا بها تضليل الناس دعماً لنظرياتهم الملحدة وترويجاً لها، وأقوالهم وفرضياتهم خالية من نقطة واحدة من الحقيقة، ونظريتهم التي يدَّعونها ليست سوى خليط مضطرب من الأحاجيِّ وشعوذة الكلام والأرقام».

أمّا العالم الطبيعي (كلوتز)، وهو بروفسور في الجامعات الأمريكية فقد قال: «يحتاج الاعتقاد بالتطوّر إلى كثير من السذاجة والسطحية».

من تصريحات داروين الماكرة التي لا تنطلي على أصحاب العقول

المتفتِّحة قوله بأنَّ الزرافة اكتسبت عنقها الطويل نتيجة مدِّه المستمر نحو الأعلى لكي تحصل على غذائها من أوراق الشجر، لأنَّ الأرض كانت جرداء قاحلة وخالية من العشب! . بعد ذلك اكتسبت هذه الصفة المميَّزة لها وأورثتها لأجيالها اللاحقة!! .

أجيب عليه فأقول: إذا شحَّت الأرض في غابر الزمان على الزرافات بسبب القحط، فلماذا لم تشحّ على الشجر أيضاً؟! وكيف للشجر أن يورق في أرض جدباء قاحلة؟! وإذا استطاعت الزرافة (فرضاً) أن تمدَّ عنقها وأن تطوِّره سعياً وراء البقاء، فلماذا لم تمدّ باقي الحيوانات أعناقها هي الأخرى كالغنم والبقر والماعز التي عاصرت الزرافة منذ بداية ظهورها على سطح الأرض؟! .

وبما أنَّ هذه الحيوانات لم تنهج نهج الزرافات! فلماذا لم تَنْفُق وتنقرض؟! لقد بقيت حتى الآن وبقيت أعناقها على حالها الذي خُلقت عليه! .

ولكي تتمكّن الزرافة من البقاء من خلال الاقتيات من أوراق الشجر، فإنَّ هذا يحتم عليها أن يزداد طول عنقها بشكل مفاجئ ومتزامن مع الجفاف والقحط، وإلاَّ فإنَّها ستموت جوعاً قبل أن يحدث التغيُّر أو التطوّر في عنقها الذي احتاج ليتشكَّل حسب أقوال داروين إلى ملايين السنين. هذا ومن ناحية أخرى فقد فشل العلماء المعاصرون أحفاد داروين في اكتشاف زرافات بأعناق قصيرة في مستحاثّاتهم التي عكفوا على دراستها ومتابعة سلسلة التطوّر فيها كما يزعمون.

لقد أوجد الله سبحانه وتعالى عنق الزرافة طويلاً ورشيقاً ليُرِيَنا طلاقة قدرته سبحانه، وجعل عدد فقرات هذه الرقبة المديدة سبعاً فقط، أي نفس عدد فقرات رقبة الإنسان وكافة الأنعام التي تدبُّ على سطح

الأرض ليؤكِّد لنا أنَّ الذي أبدعها إلـهٌ واحدٌ، وأنه انتهج في خلقها أسلوباً واحداً، وأنَّ قدراته كبيرة ولا حدود لها ولا لعلومه: ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد: ٣٣]، وقال عزَّ من قائل: ﴿ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾ [فاطر: ١٠].

لقد اتَّبع داروين تهريفه السابق بقوله: إنَّ العنق المديد الذي اكتسبته الزرافة عبر ملايين السنين من التطوّر قد انطبعت صفته تلقائياً في أحد الكروموسومات فصارت تورِّث هذه الصفة لأجيالها القادمة.

لقد تمَّ دحض هذا التهريف في علم الوراثة الذي بيَّن أنَّ أي طفرة أو تغيّر مفاجئ أو بطيء يطرأ على العضوية لن يطبع آثاره على الكروموسومات ولن تورَّث أبداً.

ولكي يتأكد العالم الألماني (أوغست وايسمان) أستاذ علم الأحياء في الجامعات الألمانية من عدم إمكانية توريث الصفات المكتسبة كالطفرات عبر الأجيال قام بقطع أذناب عدد كبير من الفئران ثم جعلهم يتزاوجون، فجاءت أبناؤها كلّها بأذناب طويلة عادية كأذناب أجدادها وكافة بني جنسها، ثم قطع أذناب الجيل الثاني والثالث والرابع واستمرَّ على ذلك ما يزيد عن عشرين جيلاً؛ فجاءت أذيال الجميع طويلة كأذيال أجدادها الأولين، أي على النحو الذي قدَّره لها الخالق العظيم.

من خلال هذه التجربة أثبت العالم (وايسمان) بأسلوب علمي تجريبي وبما لا يدع مجالاً للشكّ أنَّ الصفات المكتسبة لن تصبح متوارثة، وبالتالي فإنَّ بقاء الأصلح الذي ادَّعاه داروين تقهقر مخذولاً ليُحفظ في متحف الشطحات والأوهام وليندثر في عالم النسيان.

وبدراسة الجينات المتخصّصة بصفة الذنب لدى الأجيال المقطوعة الذنب وُجدت على حالها ثابتة تماماً كما أبدعها بارئها سبحانه.

وكذلك الحال بالنسبة للناجين من تفجيري ناغازاكي وهيروشيما ومن حادثة المفاعل الذري لوكربي، فقد أصيبوا بالعديد من الأمراض والأورام الخبيثة بسبب التعرّض الشعاعي الشديد. لم تنطبع صفة التسرطن في جيناتهم ولم يورِّثوها لأجيالهم التي جاءت من بَعْدِهم.

ولكن للأسف الشديد، ورغم افتضاح أمر داروين وتفنيد العلم لافتراءاته، فقد تحوَّلت تصريحاته وفرضياته إلى فكر جديد قائم بذاته، كما أضحى لهذا المارق المأفون مدرسة واتجاه عقائدي خاص به انجذب إليه عدد كبير من الملحدين والماسونيين والشيوعيين والعلمانيين وناصروه لا لصحة أقواله، بل لأن أقواله وفكره ناسبا أقوالهم وفكرهم، ودعما مكرهم وإلحادهم، وأيَّدا جحودهم لله، وأنكرا كونه الخالق الوحيد لكلّ ما في الكون، ليس إلاّ.

لقد دعموه تماماً كما دعموا كافة فلاسفة الإلحاد مثل (جان بول سارتر) و(كارل ماركس) و(جان جاك روسو) و(فرويد) و(هولباخ) و(باسيل ويلي) و(دوركايم) و(سكوت) و(راسل) و(برتراند) وغيرهم من حَصَب جهنَّم.

لقد فلسف فرضيات (داروين): (كان سكوت) و(برتراند) و(راسل) و(ماركس) و(فرويد) و(دوركايم). لقد تبنَّوا أقواله وبنَوا عليها فكرهم المادي والشيوعي والوجودي، ولكن بنيانهم الواهن شُيِّد على شفا جرفٍ هارٍ فانهار من أول زلزال: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥].

من هذه الفلسفات ما ادَّعت بأنَّ الإنسان ذو أصول حيوانية وأنه نتج عن تطوّر عشوائي للمادة بتأثير من عوامل طبيعية وبيئية أرادتا للإنسان أن يكون على هذا النحو من الجمال والكمال والذكاء.

بهذا الأسلوب الماكر حاول ويحاول فلاسفة المادية والإلحاد نَزْعَ فكرة الله من عقول الناس وإنكار وجوده سبحانه وكونه الخالق الأوحد لكلّ ما في الكون. ومما قالوه: بأنَّ الطبيعة صنعت الآلهة، والآلهة كُثُر كآلهة الجمال والحرب والسماء والجبال والأمطار وغيرها. حسب فلسفاتهم فإنَّ الطبيعة قوية وقادرة وأنها التي أنتجت كلَّ شيء في الوجود بما في ذلك الإنسان.

وبهذا الأسلوب الخبيث حاول فلاسفة الإلحاد نزع فكرة التكليف من عقول الناس وأدخلوا فيها مبدأ الميكيافيلي، أي: الغاية تبرِّر الوسيلة، وأفهموهم بأنَّ الهدف من الحياة اللذة والاستمتاع والحرية بكل شيء وبالجنس بشكل خاص، فأباحوا كل ألوانه واعتبروا المرأة ملكاً للجميع ولا يجوز أن ترتبط كما كان يربطها أسلافهم الرجعيون برباط الزوجية، وقالوا: بأنها وردة فوّاحة يحقّ لكلّ من يشتهيها أن ينال ما شاء متى شاء من رحيقها، فأضحت المرأة بذلك سلعة رخيصة وضاعت كرامتها، وضاعت مع كرامتها أنسابهم.

كما حاول فلاسفة الإلحاد بعد ذلك نزع الرابطة الروحية بين العبد وربّه، وأفهموهم بأنه لا بعث ولا حساب ولا جنّة ولا نار، فأطلقوا بذلك العِنان لكلّ ألوان الفساد الذي تفشّى الآن بين الغرب الملحد.

لقد آذنت فرضيات داروين بميلاد فرضيات وفلسفة فرويد الملحدة التي دعت إلى الإباحية والمجون، وإلى التحرّر من فكرة وجود الله، وإلى مبدأ الغاية تبرِّر الوسيلة التي سميتها أنا بمبدأ «ليس بعد الكفر ذنب».

كما آذنت شطحات داروين بميلاد نظرية (برجسون) الروحية ونظرية (جان بول سارتر) الوجودية التي أنكرت وجود العليّ القدير والبعث والحساب: ﴿ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

كما تبنّى الفكر الماركسي ترّهات داروين وعمل على نشرها وتدريسها في المدارس الثانوية والجامعات لأنها ناسبت إفْكَهم وكفرهم وإلحادهم والعياذ بالله.

ومما قالته الصهيونية العالمية في بروتوكولاتها للشعب اليهودي: «لا تظنُّوا معشر اليهود أنَّ تصريحاتنا كلمات جوفاء، واعلموا أنَّنا كنَّا وراء ذيوع وانتشار ونجاح وشيوع نظريات داروين وفكره، وأنَّا نحن من خطَّط لهذا كلّه، ونحن من حوَّر هذه النظريات وجعلها تؤيّد اللاأخلاقية والانحلال، وجعلناها تبدو منسجمة معها، ونحن من جعل نظريات داروين تشوِّه الحقائق والعلوم والبديهيات، ونحن من جعلها تُدرَّس في المدارس والجامعات وفي كليات العلوم، ونحن من جعل داروين مفكّراً ومحرّراً لفكر الإنسان، ونحن مَن جعل الصحف تقف بجانب نظرياته وتؤيِّدها، ونحن الذي جنَّدنا وسائل الإعلام في العالم لمناهضة الكنائس لتعدل عن عدائها وتشهيرها لداروين ووضعنا حدّاً لمناهضتها لنظرياته وأفكاره الملحدة». إنهم أعوانُ الشيطان وجنده المجنَّدة، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٥]، ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، وفيهم قال العزيز الجبار: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [الذاريات: ٨ ـ ١٤]، والخرَّاصون: هم الكذّابون.

لقد افتعل الماديون والملحدون المعاصرون ضجَّةً كبيرة بعد استنساخ (دوللي) و(روزي) وبعد التجارب الكثيرة التي أجْرَوها على جينات الحيوانات التي حسَّنوا من خلالها الإنتاج كمّاً ونوعاً. لقد ادَّعوا أنَّهم قادرون على الخلق وعلى خلق الإنسان أيضاً، وهم بذلك يتطاولون على

الواحد الأحد على الكبير المتعال الذي خلقهم وخلق كلَّ شيء في الوجود.

لهؤلاء الملحدين المارقين المغرورين من علماء الهندسة الوراثية أقول: إن كنتم قادرين على الخلق والتصوير، فإنّي أسألكم أن تخلقوا كائنات حيَّة غير التي خلقها الله سبحانه وتعالى، وأن ينتهجوا في خلقهم أسلوباً مغايراً لأسلوب الله في خلقه، أسلوباً مبتكراً من عندهم لم يسبقهم إليه أحد، لا أن يأخذوا بويضات من صنع الله ونواة من خلايا هي الأخرى من صنع الله ثم يعبثوا بخلق الله وأسلوبه ثم يدَّعون قدرتهم على الخلق! كما أتحدَّى هؤلاء المارقين أن يحافظوا على المخلوقات على قيد الحياة وأن يمنعوا عنها الموت أو يمنعوا الله وملائكته من نزع الروح من هذه المخلوقات! لقد تحدَّى سبحانه وتعالى أسلافهم الكفرة الذين جحدوا وجوده وخلقه وقدراته بأن يوقفوا سكرات الموت، وأن يحولوا دون خروج الروح التي تُغرغر في الحلقوم. يخاطبهم الكبير المتعال فيقول لهم بأنه سبحانه وتعالى وملائكته أقرب من المحتضر الذي يلتفون حوله منهم، وأنهم أعجز من أن يدركوا ما يجري أمامهم وأضعف من أن يعتدوا لأمر الله وكلمته: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣ـ٨٧].

وتخرج الروح ممن يلتفون حوله في جوٍّ مهيب وهم ساكنون قانتون، وكأن على رؤوسهم الطير من هول الموقف ورهبته، وبدون أن يَدْرُوا وبدون أن يشاهدوا شيئاً تخرج الروح إلى بارئها، وهم لا حول لهم ولا قوة، ويصبح المحتضر جسداً هامداً، وقد فقد كلَّ شيء سوى كتلة اللحم التي سرعان ما تتفسَّخ ثم تصبح تراباً كتراب الأرض تذروها الرياح ليصبح هذا المخلوق أثراً بعد عين.

يقول الكبير المتعال في سورة الواقعة: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾

أي غير مصدّقين لوجودي وقدراتي وأني أنا الذي أحيي وأميت، وأخلق وأقبض الروح، فما عليكم إلاَّ أن تعيدوا الروح إلى الجسد الميِّت فتحيوه من بعد الموت! يا لعظمة هذا التحدّي العظيم؟ وهو عند الله بسيط! لقد عبثتم بالبويضة وادَّعيتم قدرتكم على الخلق، فدعونا نَرَ قدراتكم في الحفاظ على الخلق! وما أنتم فاعلون بالروح؟ لماذا لا تمسكونها وتتعاملون معها؟ ألم تقولوا بأنها شيء مادي كباقي الأشياء!.

هذا التحدّي الإلـٰهي العظيم شديد الشبه بالتحدّي الإلـٰهي الكبير الذي وجَّهه سبحانه وتعالى للنمرود على لسان إبراهيم الخليل عليه السلام عندما ادَّعى النمرود الألوهية وقال بأنه يحيي ويميت. لقد سأله نبي الله بأن يأتي بالشمس من المغرب عوضاً عن المشرق: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فهل بإمكان المارقين الذين يتحدّون عَظَمة الله وقدراته في خلقه أن يمسكوا الروح وأن يبعدوا ملائكة الموت وأن يمنعوهم من قبضها. فكما تحدَّى إبراهيم الخليل النمرود فإنَّا نتحدَّى كافة نماريد العصر أن يخلقوا شمساً أو كوكباً أو قمراً صغيراً أو حتى ذبابة حقيرة أو جناح ذبابة!! إنَّهم أعجز من أن يخلقوا ذبابة وهم عند الله أضعف منها وأقل شأناً، قاتلهم الله أنَّى يؤفكون: ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنفال: ٥٥].

لقد سألهم رب الأرباب، الكبير المتعال: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [يونس: ٣٤]، ولكن ﴿ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴾ [عبس: ١٧].

* * *

الخاتمة

في الختام أنصح القارئ الكريم أن لا يَقْرَب كتب الملحدين الضالّين، وأن يُعرض عن فلسفاتهم المضلِّلة، واعلم يا أخي بأنَّهم أعداء الله، وأنّهم جند الشيطان المجنَّدة، وأنَّهم من كانوا وراء الكوارث الكثيرة التي تتالت على أمّتنا الإسلامية، وهم من افتعل الضجَّة والصخب الكبيرين إثر ولادة النعجة (دوللي)، ولكن مكرهم وإن كان لتزول منه الجبال إلاَّ أنه واهن وحقير أمام عَظَمة الله وجبروته سبحانه. لقد خابوا وخاب سعيهم وتلاشت زوبعتهم في فنجان، وبقيت كلمة الله هي العليا، وكلمتهم السفلى، وبقي الإسلام قوياً نَضِراً شامخاً يتصدَّى لموجات التحدّي التي تنهال عليه من كلّ حَدْب وصَوْب، وسيبقى على ذلك إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [الصف: ٨].

اعلم عزيزي القارئ أنَّ ما جاء به هؤلاء الملحدون المارقون إنَّما هو تَبْتيكٌ لخلق الله وعبثٌ بأسلوب خلقه سبحانه وتعالى، وهو استعلاء وإجرام واستكبار وفتنة يبغون منها الفساد في الأرض، وإضلال الناس عن سبيل الله وشرائعه: ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣].

جُلُّ ما أتمنّاه أخي الكريم أن تُمعن النظر في التطوّر المستمر الذي

استهدف الاستنساخ، وأن تعلم أنَّ استنساخ الإنسان ليس بالأمر العسير، بل هو ممكن وبسيط وسيتم ـ إن أراد الله ـ له ذلك، ولكن لا تنسى يا أخي بأنَّ الاستنساخ ليس بخلق، إنما هو عبث بالبويضات وبنوى الخلايا وبخلايا العلقة التي هي من خلق الله وإبداعه، واعلم بأنَّهم قد عجزوا عن تصنيع (الدنا)، وهو الحمض النووي الذي يحمل شيفرة الله في خلقه، والذي اعتبره العلماء سرَّ الحياة، كما فشلوا في تصنيع واحد من القواعد النتروجينية التي يتكوَّن منها (الدنا)، علماً بأنه يتكون من المليارات من هذه القواعد والجزئيات الدقيقة، فإن فشلوا في خلق (الدنا) فإنهم لا بد سيفشلون في خلق كروموسوم واحد، علماً بأنَّ الكروموسوم يتكوّن من المليارات من جزيئات (الدنا)، فما بالك يا أخي بخلق (٤٦) كروموسوماً في الخلية الواحدة، وهل تتوقع لهم أن يصنعوا مخلوقاً يحتوي على مئة تريليون خلية؟!.. لا وألف لا.

وإذا أرادوا أن يُجاروا خلق الله وأن يقلّدوا أسلوبه في خلقه، فما عليهم إلاَّ أن يصنعوا بويضة وحيواناً منوياً بأيديهم وفي مخابرهم ثم يحضنوها بعد تخصيبها بأسلوب خاص بهم ومن إبداعهم؛ حتى ينتجوا مخلوقاً جديداً مغايراً لخلق الله! ولكنهم لم ولن يتمكّنوا من خلق بويضة ولا حيوان منوي واحد، لأنها مخلوقات دقيقة مجهرية في غاية الدقة والتعقيد، وهما يفوقان عشرات الكمبيوترات مجتمعة في إبداعها وتعقيدها: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ۝٥٨ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٥٩ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨ ـ ٦٢].

أمعن أخي الكريم النظر في ما فعلوه ويفعلوه، وإن لم تدرك واقع الأمر وحقيقته من نفسك لبُعدك عن علوم الطب والهندسة الوراثية؛ فاسأل العالِمين.

لا تدع الشيطان وأعوانه من ماديين وملحدين يزلزلوا إيمانك ويوهنوا عقيدتك وارتباطك الروحي ببارئك. أكثِر من ذكر الله ومن الصلاة، ولا تَخُضْ بما قد يخوض به غيرك، ولا تكترث لوسائل الإعلام لأنها برُمَّتها ملك للملحدين في الغالبية العظمى من دول الغرب التي تتأثَّر بها وبموضوعاتها دول المشرق كافة، واعلم أنّه على قَدْرِ أهل العزم تأتي العزائم، واعلم بأنَّ الحياة مهما طالت فإنها قصيرة وقصيرة جداً، وهي بالنسبة للحياة الآخرة لا تزيد عن عشية أو ضحى يوم من أيام الأرض.

لذا احرص يا أخي على سلامة وشفافية ونقاء عقيدتك وفطرتك، واعمل جاهداً على تقوية الرابطة الروحية بينك وبين بارئك فتسلم في دنياك وآخرتك.

والله أسأل أن يثبِّت إيماننا وأن لا يجعلنا فتنة للذين ظلموا وأن ينجّنا برحمته من دهاء ومكر القوم العابثين الظالمين، وأسأله جلَّ جلاله أن يطمس على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم، وأن يجعلهم عبرة لكلٍّ من تسوِّل له نفسه الأمَّارة بالسوء أن يتحدَّى عَظمة الله وجبروته وكبرياءه.

وأسأله سبحانه وتعالى أن يرينا فيهم عظيم قدرته، ليسلم المسلمون وكافة الموحّدين من شرورهم إنَّه سميع بصير وللدعاء مجيب.

والله ولي التوفيق.

المؤلف

د. محمد نبيل النشواتي

المـــراجع

ـ القرآن الكريم .

ـ تفسير ابن كثير .

ـ كتاب الجنين (The Developing human) للبروفسور كيث مور .

ـ وجود الله بالدليل العلمي والعقلي ، دار القلم بدمشق ، د. محمد نبيل النشواتي .

ـ الإعجاز الإلـٰهي في خلق الإنسان ، دار القلم بدمشق ، د. محمد نبيل النشواتي .

ـ الله يتجلَّى في عصر العلم لعدد كبير من علماء الغرب .

* * *

الفهـــرس

* * *



تُطلب جميع كتُبنا مِن :

دَار القَلم ـ دمَشق: ص ب : ٤٥٢٣ ـ ت : ٢٢٢٩١٧٧

الدّار الشاميَّة ـ بَيروت ـ ت : ٦٥٣٦٥٥ / ٦٥٣٦٦٦

ص ب : ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السّعُوديّة عَن طريق

دَار البَشير ـ جدَّة : ٢١٤٦١ ـ ص ب : ٢٨٩٥

ت: ٦٦٠٨٩٠٤ / ٦٦٥٧٦٢١